


جهود الإمام ابن خزيمة في الردّ على الكُلّابية

د. عبد الرحمن بن صالح الذيب

أكاديمي سعودي، أستاذ مساعد ، ورئيس قسم الدراسات الإسلامية بكلية التربية، جامعة المجمعة

ملخص البحث

الإمام ابن خزيمة من كبار حفاظ الحديث ومن أعيان أئمة السنة، وقد جرى له مع بعض تلامذته نزاع بسبب الخلاف العقدي؛ ذلك أن مذهب الكلابية بدأ بالتسلل إلى بعض المشتغلين بالحديث والفقه من أصحابه، بزعم أن هذا المذهب ينصر قول السلف في مسائل الاعتقاد، فكان للإمام ابن خزيمة جهودٌ عظمية في إنكار هذا المذهب الكلامي والتحذير منه، إلا أن كتابات بعض المتأثرين بهذا المذهب أبرزت كلام الكلابية في نقل وقائع هذا الخلاف، وحكت عن الإمام ابن خزيمة ما يحتاج إلى التدقيق لغرابة صدوره عنه.

فرأيت أهمية جمع أخبار هذه الفتنة، وتمحيص رواياتها، ودراسة جهود هذا الإمام في الانكار على المتأثرين بهذا المذهب الكلامي؛ اظهارًا لمكانة الإمام ابن خزيمة، وحفظًا لجهوده العلمية والعملية في نصر معتقد السلف والذود عنه، وتحذيرًا من أشباههم من المذاهب الكلامية التي تنتحل مذهب السلف، وهي أبعد ما تكون عنه.

فجاء بناء هذا البحث المختصر في مبحثين، بعد أن مهّدت لهما بترجمة مختصرة للإمام ابن خزيمة، وبيان مكانته العليمة. ثم التعريف بأعلام الكلابية الخائضين في هذه الخصومة. ثم سرد موجز للأحداث التاريخية التي وقعت بنيسابور بين الإمام ابن خزيمة وبعض أعلام الكلابية فيها، مع التدقيق في الروايات التي تحدثت عن ذلك.

وأما المبحثان الرئيسان في هذا البحث فأولهما في إبراز جهود الإمام ابن خزيمة العلمية في التحذير من الكلابية، والرد عليها. والآخر: في بيان جهوده العملية في ذلك.

د.عبدالرحمن بن صالح الذيب
a.s.altheeb@mu.edu.sa

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا.

أما بعد؛ فإن لجهود أئمة الإسلام في محاربة البدع والرد على دعاتها أثرًا كبيرًا في بقاء العقيدة الإسلامية صافية نقية، ومن تتبع سير علماء السلف وجد نماذج مشرقة كثيرة لتلك الجهود، التي تنير للمنتمين لهذه العقيدة المسار لسلوك منهجهم، والبناء على طريقتهم علمًا وعملًا ودعوة.

وإن من تلك الجهود العظيمة التي لم أر من درسها أو أفردها بالبحث والكتابة، جهودَ إمام الأئمة وأحد حفاظ عصره ونقاده ممن جمع النبوغ في علوم الإسلام، الإمام ابن خزيمة؛ فهو المحدث الناقد صاحب كتاب الصحيح، وهو الفقيه المبرز المعدود من كبار فقهاء الشافعية ومجتهديهم، وهو أحد الأئمة الكبار في الدفاع عن عقيدة أهل السنة وصاحب كتاب التوحيد في تقرير معتقدها والرد على مخالفيها. ولو لم يكن في بيان منزلته إلا تلك العبارات الصادقة التي يصفه بها تلميذه وأعرف الناس به الحافظ أبو حاتم البستي، فيقول: "ما رأيت على أديم الأرض من كان يحسن صناعة السنن، ويحفظ الصحاح بألفاظها،.. حتى كأن السنن كلها نصب عينيه، إلا محمد بن إسحق بن خزيمة – رحمة الله عليه - فقط"[١] لكفى، كيف وعبارات الأئمة في مدحه كثيرة، كما ستراه في هذا

---

(١) المجروحين (١/ ٩٣).

البحث المختصر، بل الثناء عليه محل اتفاق عند علماء الأمة، إلا من خالفهم ممن هو مغمور بالبدعة، مائل عن نهج أهل السنة والأثر، وقد قال الحافظ الخليلي: "..اتفق في وقته أهل الشرق أنه إمام الأئمة"(١).

وقد تضمنت هذ الدراسة - بفضل الله - تسليط الضوء على فتنة وقعت في عصر هذا الإمام وتأثر بلظاها، حتى بعد وفاته(٢)، ذلك أن غالب تلك الكتابات حول تلك الفتنة إنما كتبت بأقلام مناوئيه، فصارت سلمًا للطعن فيه عند هؤلاء المخالفين، ومن تأثر بهم ممن جهل تفاصيل ما وقع فيها(٣). لهذا كله رأيت أن أجمع تفاصيل تلك الواقعة، وأدرس جهود الإمام ابن خزيمة في الرد على الكلابية خاصة؛ لصلتهم بالفتنة المذكورة. فجاء هذا البحث - بفضل الله - مبينًا تلك الأحداث بدراسة نقدية فاحصة لمرويات ما حدث، مظهرة جهود هذا الإمام في الدفاع عن عقيدة أهل السنة.

وفيما يلي بيان بعض الأمور المهمة المتعلقة بالبحث:

۞ أهداف البحث:

١ - بيان أن معتقد الكلابية مخالف لما عليه أهل السنة في كثير من أبواب الاعتقاد.

---

(١) الإرشاد في معرفة علماء الحديث (٣/ ٨٣١).

(٢) ذلك أن بعض المخالفين لمعتقد أهل السنة صاروا يطعنون على هذا الإمام لمواقفه العظيمة التي حذر فيها من مذاهبهم المبتدعة المخالفة لما عليه أهل السنة والأثر.

(٣) انظر: الأسماء والصفات للبيهقي (٢/ ٢٢) وتأنيب الخطيب للكوثري (ص٢٩) والتجسيم في الفكر الإسلامي لصهيب السقار (ص١١٥).

٢ – معرفة حقيقة النزاع الحاصل بين الإمام ابن خزيمة ومن خالفه من بعض علماء عصره.

۞ أهمية البحث وأسباب اختياره:

١ – إبراز جهود علماء السلف في الانتصار لعقيدة أهل السنة، والرد على المخالفين لها.

٢ – إظهار تنوع النشاط العلمي والعملي للإمام ابن خزيمة.

۞ الدراسات السابقة:

لم أجد – فيما أطلعت عليه – من تناول الخصومة التي وقعت بنيسابور بين الإمام ابن خزيمة ومخالفيه من الكلابية، ولا من تناول جهود الإمام ابن خزيمة في رده عليه.

ومن البحوث النافعة التي لها تعلق بهذا البحث:

١ – نبذة لطيفة في رد بعض تشغيبات المعطلة على الإمام ابن خزيمة للدكتور صادق سليم، وهو كتاب مفيد تضمن الرد على أقوال بعض المبتدعة فيما شنعوا به على الإمام ابن خزيمة وكتابه التوحيد، فهو لم يتعرض للخصومة التي وقعت للإمام مع تلامذته الكلابية إلا عرضًا، ولم يتتبع جهود الإمام ابن خزيمة في رده عليهم، وإنما تولى – وفقه الله – الردَّ على تشغيبات المعطلة وشبههم.

٢ – منهج ابن خزيمة في تقرير العقيدة والرد على المخالفين، للباحثة هالة بنت علي أحمد كماخي، وهي رسالة مقدمة للحصول على الماجستير، بجامعة

طيبة. والبحث تضمن بيان منهج ابن خزيمة في تقرير العقيدة، ومنهجه في استدلاله بالنصوص، وفي رده على المخالفين، والأخير أقرب لمضمون هذا البحث، إلا أن الباحثة اقتصر عملها على إبراز منهج الإمام فيما ذُكر، دون تتبع جهوده، كما لم تتعرض للخصومة التي وقعت بين ابن خزيمة ومن خالفه من الكلابية إلا ما نقلته من كلام أبي إسماعيل الهروي[١] - الآتي ذكره - دون الكلام حولها ولا بيان أطرافها، ولذا لم يأت ذكر الكلابية في بحثها فيما رأيت إلا في موضع واحد[٢]، ولم يرد ذكر أطراف النزاع في رسالتها باستثناء ذكرها لبعضهم في عداد تلامذة ابن خزيمة.

منهج البحث:

اعتمدت على المنهج الاستقرائي في جمع المادة العلمية المتعلقة بجهود الإمام ابن خزيمة في موقفه من الكلابية، وعلى المنهج التاريخي في سرد الوقائع التي حدثت بين الإمام ابن خزيمة ومخالفيه من الكلابية ومناقشتها.

إجراءات البحث:

١ - عزو ت الآيات القرآنية وخرجت الأحاديث الواردة في البحث.

٢ - ترجمت للأعلام الوارد ذكرهم في البحث، فمن كان من أطراف النزاع أو هو ممن نقل الروايات الواردة في وقائع هذه الخصومة، فإني أتوسع في بيان حاله، ومن لم يكن كذلك فإني أكتفي بذكر اسمه ووفاته وبعض ثناء أهل العلم

---

(١) (ص ٣٦٢ - ٣٦٣) من رسالة الباحثة.

(٢) في كلام الباحثة على (منهج ابن خزيمة في إثبات صفة الكلام) (ص ٣٥٥).

عليه وذكر مصدر ترجمته، على أني تركت ترجمة بعض أعلام هذا القسم لشهرتهم كالأئمة الأربعة وأبي يوسف والبخاري ومسلم والدراقطني.

٣ - وثقت النصوص بذكر مصادرها في الهامش.

۞ خطة البحث:

تألفت هذه الدراسة من مقدمة وتمهيد ومبحثين وخاتمة وفهرس لموضوعات البحث.

فأما التمهيد، فتضمن ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: تعريف موجز بالإمام ابن خزيمة، وبيان ثناء العلماء عليه.

المطلب الثاني: التعريف بالكلابية، وذكر بعض أعلامها.

المطلب الثالث: موجز الأحداث التاريخية للفتنة التي وقعت بنيسابور بين الإمام ابن خزيمة وبعض أعلام الكلابية فيها.

وأما المبحث الأول، فذكرت فيه جهود الإمام العلمية في الرد على الكلابية والتحذير منهم. وقد تضمن ثلاثة مطالب أيضًا:

المطلب الأول: تحذيرهم من الخوض في علم الكلام

المطلب الثاني: الكشف عن فساد قولهم والرد العلمي عليهم.

المطلب الثالث: تأليف الكتب في الرد عليهم.

وأما المبحث الثاني: في جهود الإمام العملية، وتضمن أربعة مطالب:

المطلب الأول: التحذير من دعاتهم.

المطلب الثاني: كتابته إلى العلماء بشأن بدعتهم.

المطلب الثالث: إظهار الإنكار عند العامة تحذيرًا من البدع.

المطلب الرابع: تبليغ الولاة عن بدعهم ليكفوهم عن نشرها.

الخاتمة: وفيها أبرز النتائج.

فهرس موضوعي للبحث.

وأحمد الله تعالى أن يسر لي إتمام هذه الدراسة، وأسأله سبحانه أن يجعلها لي ذخرًا عنده، والله الموفق، وصلى الله على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا.



التمهيد

المطلب الأول

تعريف موجز بالإمام ابن خزيمة، وذكر ثناء العلماء عليه

هو الإمام الحافظ الحجة الفقيه، أبوبكر محمد بن إسحاق بن خزيمة بن المغيرة السلمي النيسابوري. ولد سنة ثلاث وعشرين ومائتين، وعُني في حداثته بالحديث والفقه، حتى صار يضرب به المثل في سعة العلم والاتقان.

قال محمد بن الفضل[١]: سمعت جدي يقول: "استأذنت أبي في الخروج إلى قتيبة، فقال: اقرأ القرآن أولًا حتى آذن لك. فاستظهرت القرآن، فقال لي: امكث حتى تصلي بالختمة. ففعلت، فلما عيدنا، أذن لي، فخرجت إلى مرو"[٢]. روى عنه جماعة من مشايخه الذين اختلف إليهم وأخذ العلم عنهم، منهم: محمد بن إسماعيل البخاري. قال الحاكم: "قد رأيت في كتاب مسلم بن الحجاج بخط يده: حدثني محمد بن إسحاق أبو بكر صاحبنا"[٣].

قال أبو عثمان سعيد بن إسماعيل الحيري[٤]: حدثنا ابن خزيمة قال: "كنت

---

(١) محمد بن الفضل بن محمد بن إسحاق السلمي النيسابوري حفيد ابن خزيمة، توفي سنة سبع وثمانين وثلاث مائة، انظر سير أعلام النبلاء (١٦/ ٤٩٠).

(٢) سير أعلام النبلاء (١٤/ ٣٧١).

(٣) التقييد لابن نقطة (ص ٣٧).

(٤) سعيد بن إسماعيل بن سعيد الحيري، نعته الذهبي بالإمام المحدث الواعظ القدوة، شيخ الاسلام، توفي سنة ثمان وتسعين ومائتين، انظر في ترجمته تاريخ بغداد (٩/ ٩٩) سير أعلام =

إذا أردت أن أصنف الشيء أدخل في الصلاة مستخيرًا حتى يفتح لي، ثم أبتدئ التصنيف".

ثم قال أبو عثمان: "إن الله ليدفع البلاء عن أهل هذه المدينة لمكان أبي بكر محمد بن إسحاق"(١).

وقال محمد بن الفضل: "كان جدي أبو بكر لا يدخر شيئًا جهده، بل ينفقه على أهل العلم"(٢).

وعن عبد الرحمن بن أبي حاتم – وسئل عن ابن خزيمة –، فقال: "ويحكم هو يُسأل عنا ولا نُسأل عنه، هو إمام يقتدى به".

وقال أبو حاتم ابن حبان: "ما رأيت على وجه الأرض من يحفظ صناعة السنن، ويحفظ ألفاظها الصحاح، وزياداتها، حتى كأن السنن كلها بين عينيه إلا محمد بن إسحاق بن خزيمة فقط"(٣).

وقال أبو الحسن الدارقطني: "كان ابن خزيمة إمامًا ثبتًا، معدوم النظير"(٤).

وقال أبو العباس بن سريج(٥) – وذُكر له ابن خزيمة – فقال: "...يستخرج

=

النبلاء (١٤/ ٦٢). وهو والد أبي بكر أحد أعلام الكلابية الآتي ذكره.

(١) سير أعلام النبلاء (١٤/ ٣٦٩).

(٢) تاريخ الإسلام للذهبي (٢٣/ ٤٢٣).

(٣) المجروحين (١/ ٩٣)، وانظر: تذكرة الحفاظ للذهبي (٢/ ٢٠٩).

(٤) سير أعلام النبلاء (١٤/ ٣٧٢).

(٥) أحمد بن عمر ابن سريج أبو العباس البغدادي، نعته الخطيب البغدادي بإمام أصحاب الشافعي في وقته، توفي سنة ست وثلاثمائة، انظر: تاريخ بغداد (٤/ ٢٨٩)، وسير أعلام النبلاء (١٤/ ٢٠١).

النكت من حديث رسول الله بالمنقاش"[١].

وقال فيه الحافظ أبو عبد الله الحاكم في ترجمته في تاريخه: "إمام الحديث في عصره... العالم الأوحد المقدم، باتفاق أهل عصره على تقدمه رَضِيَ اللهُ عَنْهُ"[٢].

وقال في كتابه معرفة علوم الحديث: "فضائل هذا الإمام مجموعة عندي في أوراق كثيرة، وهي أشهر وأكثر من أن يحتملها هذا الموضع، ومصنفاته تزيد على مائة وأربعين كتابًا سوى المسائل، والمسائل المصنفة أكثر من مائة جزء"اهـ.[٣].

ولا يبعد أن يكون منها ما له تعلق بهذه الخصومة، إلا أنه لم يصلنا منها شيء، ولم يذكر من ترجم له مؤلفًا خاصًا بالرد على مذهب الكلابية[٤].

قال الخليلي في كتابه الإرشاد: "اتفق في وقته أهل الشرق أنه إمام الأئمة".

ونعته الذهبي في سير أعلام النبلاء بـ"الحافظ الحجة الفقيه شيخ الاسلام إمام الأئمة... صاحب التصانيف"، وقال: "ولابن خزيمة عظمة في النفوس، وجلالة في القلوب لعلمه ودينه، واتباعه السنة"[٥].

وقال الحافظ ابن كثير: "الامام أبو بكر ابن خزيمة الملقب بإمام الأئمة، كان بحرًا من بحور العلم، طاف البلاد ورحل إلى الآفاق في الحديث وطلب العلم، فكتب الكثير وصنف وجمع، وكتابه الصحيح من أنفع الكتب وأجلّها، وهو من

---

(١) سير أعلام النبلاء (١٤/ ٣٧٣).

(٢) تاريخ نيسابور (ص ٥١) الملخص.

(٣) معرفة علوم الحديث (ص ١٢٥)

(٤) يأتي الكلام على مؤلفاته في الرد على الكلابية في المطلب الثالث من المبحث الأول

(٥) سير أعلام النبلاء (١٤/ ٣٧٤).

المجتهدين في دين الاسلام"[١].

توفي ليلة السبت الثامن من ذي القعدة سنة إحدى عشرة وثلاثمائة[٢].

المطلب الثاني
التعريف بالكلابية، وذكر بعض أعلامها
في زمن الإمام ابن خزيمة

الكلابية فرقة كلامية، تنسب إلى إمام مذهبهم أبي محمد عبد الله بن سعيد بن كلاب[٣]، وهم يعدون من جملة الفرق المثبتة للصفات (الصفاتية) لإثباتهم بعضها، إلا أنهم عطلوا جميع الصفات الفعلية وأنكروها، وخلطوا في مسائل القدر ومباحث الإيمان، ومع هذا يعد مذهبهم - في الجملة - من المذاهب القريبة إلى مذهب أهل السنة والجماعة، لمحاولتهم نصر مذاهب السلف في مسائل الاعتقاد بالعقل، إلا أن تقصيرهم في النقل وجهلهم بمذاهب السلف أوقعهم في مخالفات عديدة، وإن أظهروا موافقتهم للسلف في اللفظ والعبارة[٤].

---

(١) البداية والنهاية لابن كثير (١١/ ١٤٩).

(٢) انظر سير أعلام النبلاء (١٤/ ٣٦٥) البداية والنهاية لابن كثير (١١/ ١٧٠).

(٣) انظر: مقالات الإسلاميين (ص ٥)، والأنساب للسمعاني (٥/ ١١٦)، ولب اللباب للسيوطي (ص ٧٢).

(٤) ما ذكرته هنا مع إجماله إنما قصدت تعريف القارئ بهم، أما تحقيق أقوالهم في مسائل الاعتقاد، فله مواضع تناسبه. وينظر في التعريف بهم: مقالات الإسلاميين للأشعري (١/ ٢٤٩ - ٢٥٢)، والفصل في الملل والنحل لابن حزم (٤/ ٢٠٨). ومن الكتب =

قال الإمام ابن تيمية: "..كان الناس قبل أبي محمد ابن كلاب صنفين، فأهل السنة والجماعة يثبتون ما يقوم بالله تعالى من الصفات والأفعال التي يشاؤها ويقدر عليها، والجهمية من المعتزلة وغيرهم تنكر هذا وهذا، فأثبت ابن كلاب قيام الصفات اللازمة به، ونفى أن يقوم به ما يتعلق بمشيئته وقدرته من الأفعال وغيرها..."(١). وقال: "والكلابية والأشعرية: خير من هؤلاء(٢) في باب الصفات؛ فإنهم يثبتون لله الصفات العقلية، وأئمتهم يثبتون الصفات الخبرية في الجملة..، وأما في باب القدر ومسائل الأسماء والأحكام فأقوالهم متقاربة(٣). والكلابية هم أتباع أبي محمد عبد الله بن سعيد بن كلاب الذي سلك الأشعري خطته. وأصحاب ابن كلاب كالحارث المحاسبي(٤)، وأبي العباس القلانسي(٥)

=

المعاصرة: موقف ابن تيمية من الأشاعرة للدكتور عبد الرحمن المحمود (١/ ٣٨١) ومواقف الطوائف من توحيد الأسماء والصفات للدكتور محمد بن خليفة التميمي (ص ٨٨)، وأفردت عدة رسائل علمية عنهم؛ منها: آراء الكلابية العقدية وأثرها في الأشعرية في ضوء عقيدة أهل السنة والجماعة. رسالة ماجستير. للأستاذة هدى بنت ناصر الشّلالي. من مطبوعات مكتبة الرشد: الرياض. ١٤٢٠ هـ.

(١) درء تعارض العقل والنقل (٢/ ٦).

(٢) يريد: النجارية والضرارية، كما يبينه سياق كلامه في المصدر المنقول منه.

(٣) أي قول الكلابية والأشعرية متقاربة مع أقوال النجارية والضرارية في باب الإيمان والقدر، وهي مقاربة لقول جهم كما في المصدر المشار إليه.

(٤) الحارث بن أسد المحاسبي أبو عبد الله. نعته الذهبي بالزاهد العارف، شيخ الصوفية، وقد تكلم فيه الإمام أحمد لخوضه بعلم الكلام، كما سيأتي. انظر: تاريخ بغداد (٨/ ٢١١)، وسير أعلام النبلاء (١٢/ ١١٠).

(٥) تأتي ترجمته (ص ٣١٢).

ونحوهما خير من الأشعرية في هذا وهذا، فكلما كان الرجل إلى السلف والأئمة أقرب كان قوله أعلى وأفضل "[١].

وتضمن كلام الإمام ابن تيمية الإشارة إلى بعض أعلامهم، ولعلي في هذا البحث المختصر أكتفي بترجمة أعلام الكلابية الذين وقعت الخصومة بينهم وبين الإمام ابن خزيمة، بعد الترجمة لإمام هذا المذهب.

١. ابن كُلّاب إمام المذهب:

هو عبدالله بن سعيد القطان أبو محمد، المعروف بابن كلاب[٢] البصري.

قال الدارقطني: "ابن كلاب المتكلم على مذهب المثبتة"[٣].

وقال الذهبي: "رأس المتكلمين بالبصرة في زمانه،.... وكان يلقب كلابًا؛ لأنه كان يجر الخصم إلى نفسه ببيانه وبلاغته"[٤]، وقال في تاريخه: ".. كان يرد على المعتزلة وربما وافقهم"[٥].

وقال: "قال شيخنا ابن تيمية: كان له فضل وعلم ودين، وكان ممن انتدب

---

(١) مجموع الفتاوى (٣/ ١٠٣)

(٢) انظر: الأنساب للسمعاني (٥/ ١١٦)، وطبقات الشافعية للسبكي (٢/ ٢٩٩). وكُلّاب بضم الكاف وتشديد اللام، قال السبكي: ".. مثل خُطّاف لفظًا ومعنى".

(٣) المؤتلف والمختلف (٤/ ٦٤)، أي من مثبتة الصفات، خلافًا لما عليه المعطلة من الجهمية والمعتزلة، وسبقت الإشارة إلى أن إثباته لها هو في الجملة، وإلا فهو من نفات الصفات الفعلية، وسيأتي في كلام ابن تيمية شيء من التفصيل في هذا.

(٤) سير أعلام النبلاء (١١/ ١٧٤)، وانظر طبقات الفقهاء الشافعية لابن الصلاح (١/ ٤٤٠).

(٥) تاريخ الإسلام (١٧/ ٤٢٨).

للرد على الجهمية. ومن قال عنه[(١)] إنه ابتدع ما ابتدعه ليظهر دين النصارى على المسلمين كما يذكره طائفة،.. فهذا كذب عليه،...

قال شيخنا: وهو أقرب إلى السنة من خصومه بكثير، فلما أظهروا القول بخلق القرآن، وقال أئمة السنة بل هو كلام الله غير مخلوق، فأحدث ابن كلاب القول بأنه كلام قائم بذات الرب، بلا قدرة ولا مشيئة. فهذا لم يكن يتصوره عاقل، ولا خطر ببال الجمهور، حتى أحدث القول به ابن كلاب. وقد صنف كتبًا كثيرة في التوحيد والصفات....."[(٢)].

ذكر له ابن النديم في الفهرست: "كتاب الصفات، وكتاب خلق الأفعال، وكتاب الرد على المعتزلة"[(٣)]، توفي في حدود الأربعين ومائتين[(٤)].

٢. أبو علي الثقفي:

محمد بن عبد الوهاب بن عبد الرحمن الثقفي أبو علي النيسابوري، من ولد الحجاج بن يوسف الثقفي.

فقيه متصوف، ومن المشتغلين بعلم الكلام، وله مشاركة في باب رواية الحديث، فقد سمعه على كبر.

ولد بقُهُسْتان[(٥)] سنة أربع وأربعين ومائتين. تفقه على محمد بن نصر

---

(١) الذي يشيع هذا هم المعتزلة، وانظر: الفهرست لابن إسحاق النديم (ص ٢٥٥).

(٢) تاريخ الإسلام (١٧/ ٤٢٨).

(٣) الفهرست (ص ٢٥٥).

(٤) انظر: تاريخ الذهبي (١٧/ ٤٢٨)، ولسان الميزان لابن حجر (٣/ ٢٩٠).

(٥) قال السمعاني في الأنساب (٤/ ٥٦٤): "بضم القاف والهاء وسكون السين المهملة وفتح التاء =

المروزي[١]، ولقي في التصوف أبا حفص وحمدون القصار[٢]، سمع الحديث في كبره من جماعة من الحفاظ.

وقد ترجم له أبو عبد الرحمن السلمي[٣] في طبقات الصوفية، فقال: "...وكان إمامًا في أكثر علوم الشرع، مقدّمًا في كل فن منه. عطل أكثر علومه، واشتغل بعلم الصوفية.."[٤].

قال ابن سريج: "ما جاءنا من خراسان أفقه منه"[٥]، وقال فيه تلميذه الصبغي: "ما عرفنا الجدل والنظر حتى ورد أبو علي الثقفي من العراق"[٦].

=

المنقوطة من فوقها باثنتين وفي آخرها النون...، وهي ناحية بخراسان، بين هراة ونيسابور، فيما بين الجبال، وهي قوهُستان، بمعنى مواضع من الجبل، فعُرّب فقيل: قُهُستان. فتحها عبد الله بن عامر بن كريز، في سنة تسع وعشرين من الهجرة، في خلافة عثمان"، وانظر: معجم البلدان لياقوت الحموي (٤/ ٤١٦).

(١) محمد بن نصر بن الحجاج المروزي، نعته الذهبي بالإمام، شيخ الاسلام، الحافظ..، توفي سنة أربع وتسعين ومائتين. انظر: تاريخ بغداد (٣/ ٣١٥) وسير أعلام النبلاء (١٤/ ٣٣)

(٢) طبقات الشافعية للسبكي (٣/ ١٩٢). وانظر: تاريخ الذهبي (٢٤/ ٢٣٩). وأبو حفص هو: عمرو بن سلم النيسابوري، أحد أعلام التصوف بنيسابور، توفي سنة أربع وستين ومائتين. وحمدون القصار هو ابن أحمد النيسابوري، توفي سنة إحدى وسبعين ومائتين، ترجم لهما السلمي في طبقات الصوفية (ص١٠٣، ص ١٠٩) والذهبي في سير أعلام النبلاء (١٢/ ٥١٣) (١٣/ ٥١)

(٣) تأتي ترجمته (ص ٣١٥).

(٤) طبقات الصوفية (١/ ١٠٢).

(٥) انظر: الأنساب للسمعاني (١/ ٥١٠)، وتاريخ الإسلام للذهبي (٢٤/ ٢٣٩).

(٦) انظر: سير أعلام النبلاء (١٥/ ٢٨٢).

نعته الذهبي في سير أعلام النبلاء بالإمام المحدث الفقيه العلامة الزاهد العابد، شيخ خراسان، وقال: "... ومع علمه وكماله خالف الإمام ابن خزيمة في مسائل منها: مسألة التوفيق والخذلان، ومسألة الإيمان، ومسألة اللفظ بالقرآن، فألزم البيت، ولم يخرج منه إلى أن مات، وأصابه في ذلك الجلوس محن "[١].

توفي في جمادى الأولى سنة ثمان وعشرين وثلاثمائة، قال الحاكم: "شهدت جنازته فلا أذكر أني رأيت بنيسابور مثل ذلك الجمع "[٢].

٣. أبو بكر بن أبي عثمان النيسابوري:

محمد بن سعيد بن إسماعيل بن سعيد الحيري، أبو بكر بن أبي عثمان النيسابوري. وصفه الحاكم بالفقيه الزاهد[٣]، ونعته الصفدي بـ"الحافظ الأديب الفقيه "[٤].

قال ابن حمدون عند ذكره أصحابَ الإمام ابن خزيمة: "... و[أبو] بكر بن أبي عثمان، وهو آدبهم، وأكثرهم جمعًا للعلوم، وأكثرهم رحلة، وشيخ المطوعة والمجاهدين "[٥].

وقد اشتدّ ذم الإمام ابن خزيمة له في هذه الخصومة، فقد جاء عنه أنه قال: "قد صح عندي أن هؤلاء... كذبة، قد كذبوا علي في حياتي، فمحرم على كل مقتبس علم أن يقبل منهم شيئًا يحكونه عني، وابن أبي عثمان أكذبهم عندي،

---

(١) سير أعلام النبلاء (١٥/ ٢٨٢).
(٢) انظر: تاريخ الذهبي (٢٤/ ٢٣٨) وطبقات الشافعية للسبكي (٣/ ١٩٤).
(٣) انظر: تاريخ نيسابور (ص ٧١) الملخص.
(٤) الوافي بالوفيات (١/ ٣٣٧).
(٥) سير أعلام النبلاء (١٤/ ٣٧٧).

وأقولهم علي ما لم أقله"[١].

وقلَّ من رأيته أفرده بالترجمة، وإنما الذكر لوالده الزاهد أبي عثمان[٢]، ولولده الحافظ أبي سعيد صاحب التفسير الكبير وكتاب المستخرج على صحيح مسلم[٣].

ومن طريف ما ذكره ابنه أبو سعيد في انتماء والده للكلابية، ما رواه الحاكم في تاريخه، قال: "سمعت أبا سعيد بن أبي بكر بن أبي عثمان يقول: لما وقع بنيسابور من أمر الكلابية ما وقع، كان السراج[٤] يمتحن أولاد الناس فلا يحدث أولاد الكلابية، فأقامني في المجلس مرة فقال: قل: أبرأ إلى الله من الكلابية، فقلت: إن قلت هذا لا يطعمني أبي الخبز، فضحك وقال: دعوا هذا"[٥]. توفي أبو بكر بن أبي عثمان سنة خمس وعشرين وثلاثمائة[٦].

٤. أبو بكر أحمد بن إسحاق الصِّبْغي:

أحمد بن إسحاق بن أيوب النيسابوري أبو بكر الصِّبغي[٧]، مولده سنة ثمان

(١) سير أعلام النبلاء (١٤/ ٣٧٩) وقد نفى عنهم الذهبي الكذب، وسيأتي الكلام في هذا.

(٢) سبقت ترجمته (ص٢٩٢).

(٣) انظر ترجمته في: تاريخ بغداد (٩ / ٩٩)، وطبقات الفقهاء الشافعية (١/ ٣٨٢).

(٤) محمد بن إسحاق بن إبراهيم الثقفي أبو العباس السراج النيسابوري، قال الذهبي في سير أعلام النبلاء (١٤/ ٣٨٨): "الإمام الحافظ الثقة، شيخ الاسلام، محدث خراسان..". توفي سنة ثلاث عشرة وثلاثمائة.

(٥) انظر: تذكرة الحفاظ للذهبي (٢/ ٢١٥).

(٦) انظر: الوافي بالوفيات (١/ ٣٣٧).

(٧) الصبغي بكسر الصاد المهملة وبالباء الموحدة الساكنة وبالغين المعجمة، قال السمعاني: "هذه النسبة إلى الصبغ والصباغ المشهور، ويمكن عمل الألوان التي ينقش بها..."، انظر: الإكمال لابن ماكولا (٥/ ٢٣٣)، والأنساب (٣/ ٥٢١)، وقد تحرفت نسبته في كثير من =

وخمسين ومائتين.

قال أبو الفضل بن إبراهيم[1]: "كان يخلف ابن خزيمة في الفتوى بضع عشرة سنة في الجامع وغيره".

وقال الحاكم: "بقي يفتي بنيسابور نيفًا وخمسين سنة، ولم يؤخذ عليه في فتاويه مسألة وهم فيها"[2].

قال أبو سعد السمعاني[3]: "هو.. أحد العلماء المشهورين بالفضل والعلم الواسع من أهل نيسابور"[4].

قال النووي: "هو أحد أئمة أصحابنا أصحاب الوجوه البارعين الجامعين بين الحديث والفقه"[5].

نعته الذهبي في سير أعلام النبلاء بالإمام العلامة المفتي المحدث شيخ الاسلام، وقال: "جمع وصنف، وبرع في الفقه، وتميز في علم الحديث"[6].

قال الحاكم: "ومن تصانيفه كتاب (الأسماء والصفات)، وكتاب (الإيمان)

=

المصادر إلى (الضبعي) بالضاد المعجمة والعين المهملة.

(١) محمد بن إبراهيم بن الفضل الهاشمي النيسابوري المزكي، نعته الذهبي بالإمام، أحد أصحاب الحديث، مات سنة سبع وأربعين وثلاثمائة. انظر: سير أعلام النبلاء (١٥/ ٥٧٢).

(٢) انظر: سير أعلام النبلاء (١٥/ ٤٨٤).

(٣) عبد الكريم بن محمد التميمي السمعاني، ذكره الذهبي في تذكرة الحفاظ (٤/ ٧٥) ونعته بـ"الحافظ البارع العلامة... صاحب التصانيف"، توفي سنة اثنتين وستين وخمسمائة.

(٤) الأنساب للسمعاني (٣/ ٥٢١).

(٥) تهذيب الأسماء (١/ ٧٦٤).

(٦) سير أعلام النبلاء (١٥/ ٤٨٣).

وكتاب (القدر) وكتاب (الخلفاء الأربعة) وكتاب (الرؤية) وكتاب (الأحكام) وكتاب (الامامة)"(١).

توفى في شعبان سنة ثنتين وأربعين وثلاثمائة(٢).

٥. يحيى بن منصور(٣):

يحيى بن منصور بن يحيى بن عبد الملك النيسابوري أبو محمد قاضي نيسابور. قال الحاكم: "ولي القضاء بضع عشرة سنة...، وكان محدث نيسابور في وقته، وحمد في القضاء، وكان يحضر مجلسه الحفاظ: أبو عبد الله بن الأخرم(٤)، وغيره"(٥).

قال ابن حمدون(٦) عند ذكره أصحابَ ابن خزيمة: "...و[أبو] محمد يحيى بن منصور، وكان من أكابر البيوتات، وأعرفهم بمذهب ابن خزيمة وأصلحهم للقضاء"(٧).

مات في سنة إحدى وخمسين وثلاثمائة(٨).

---

(١) سير أعلام النبلاء (١٥/ ٤٨٥).

(٢) انظر: تهذيب الأسماء للنووي (١/ ٧٦٤)، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكي (٣/ ١١).

(٣) هو أحد أطراف النزاع الذي وقع بين الإمام ابن خزيمة ومخالفيه ممن ينصر قول الكلابية، كما سيأتي، أما مقدار ما يتبنى من أقوال الكلابية، ومدى موافقته لهم، أو انتسابه إليهم، فالمصادر لا تسعفنا بما يفصح عن هذا، ومن مصادر ترجمته هذه: تاريخ نيسابور (ص١١٢)، وسير أعلام النبلاء للذهبي (١٦/ ٢٨)، وتاريخه (٢٦/ ٦٦).

(٤) محمد بن يعقوب بن يوسف الشيباني أبو عبد الله النيسابوري، نعته الذهبي بالإمام الحافظ المتقن الحجة، توفي سنة أربع وأربعين وثلاثمائة. انظر: سير أعلام النبلاء (١٥/ ٤٦٦).

(٥) سير أعلام النبلاء (١٦/ ٢٨) بتصرف

(٦) تأتي ترجمته (ص ٣٠٥).

(٧) سير أعلام النبلاء (١٤/ ٣٧٧).

(٨) انظر: سير أعلام النبلاء (١٦/ ٢٨)، وتاريخ الإسلام للذهبي (٢٦/ ٦٦).

المطلب الثالث

موجز الأحداث التاريخية للفتنة التي وقعت بنيسابور بين الإمام ابن خزيمة وبعض أعلام الكلابية فيها

كانت مدينة نيسابور من منابر العلم ومراكز رواية الحديث، فيها أساطين المحدثين وأعلامهم، كأبي عبد الله البوشنجي(١)، وأبي العباس السراج(٢)، وأبي حامد ابن الشرقي(٣)، وأبي العباس الماسرجسي(٤)، كما كان فيها غيرهم ممن شارك في العلوم الأخرى، ومنهم من سلك غير سبيل أهل السنة في الاعتقاد كالاعتزال أو مذهب الكلابية، ومع جهود الإمام ابن خزيمة وغيره من أعلام أهل السنة في نشر السنة، وترسيخ اعتقاد سلف الأمة من الصحابة والتابعين، إلا أن هذا لم يمنع من انتشار المذاهب الكلامية بين بعض المنتسبين إلى السنة والأثر، المشتغلين بعلم الفقه والحديث، حتى آل الأمر إلى تأثر بعض تلامذة الإمام ابن خزيمة وأصحابه بها، دون علم منه، إلى أن وقعت تلك الأحداث في المحنة التي

---

(١) محمد بن إبراهيم بن سعيد العبدي البوشنجي، ترجم له الذهبي في سير أعلام النبلاء (١٣/ ٥٨١)، فوصفه بأنه "الامام، العلامة الحافظ ذو الفنون شيخ الاسلام... شيخ أهل الحديث في عصره بنيسابور"، توفي سنة تسعين ومائتين.

(٢) سبقت ترجمته (ص٣٠١).

(٣) هو أحمد بن محمد بن الحسن النيسابوري أبو حامد ابن الشرقي. قال الإمام ابن خزيمة: "حياة أبي حامد تحجز بين الناس، وبين الكذب على رسول الله ﷺ"، توفي سنة خمس وعشرين وثلاثمائة. سير أعلام النبلاء (١٥/ ٣٧).

(٤) أحمد بن محمد بن الحسين بن عيسى الماسرجسي أبو العباس، ترجم له الذهبي في سير أعلام النبلاء (١٤/ ٤٠٥) وقال في الثناء عليه: "الإمام المحدث العالم الثقة...."، مات في صفر سنة ثلاث عشرة وثلاثمائة.

بلي بها هذا الإمام، بما روجه هؤلاء الآخذون عنه مما لم يقله، وقد ذكر بعض هذه الأحداث أعيان الكلابية، وأبرزهم أبو بكر الصِّبغي؛ وهو أحد أطراف هذه الواقعة؛ فهو وإن كان من تلامذة الإمام ابن خزيمة، إلا أنه تأثر بغيره من شيوخه الكلابية، ولذا سأسوق ما ذكروه مما يعيننا على فهم بعض ما وقع، وإن كانت تلك الأخبار سيقت مساق الدفاع عن الكلابية والانتصار لهم، وانتقاد الإمام ابن خزيمة وتخطئته! لكنّ ما نقله إلينا غيرهم من أحداث عاصروها، أو نقلوها عمن عاصرها، لا يعين على فهم بعض ما حدث في هذه الفتنة. وسأورد في هذا الفصل ما تيسر لي جمعه، مركزًا على السرد التاريخي لوقائعها، مرجئًا الكلام على ما تضمنته من مباحث عقدية، إلى حين عرض جهود الإمام ابن خزيمة.

قال أبو عبد الله الحاكم: "حدثني أبو بكر محمد بن حمدون[(١)].. قال: لما بلغ أبو بكر بن خزيمة من السن والرئاسة والتفرد بهما ما بلغ، كان له أصحاب صاروا في حياته أنجم الدنيا، مثل أبي علي محمد بن عبد الوهاب الثقفي، وهو أول من حمل علوم الشافعي ودقائق ابن سُرَيج إلى خراسان، ومثل أبي بكر أحمد بن إسحاق -يعني الصِّبغي- خليفة ابن خزيمة في الفتوى، وأحسن الجماعة تصنيفًا، وأحسنهم سياسة في مجالس السلاطين، وأبي بكر بن أبي

(١) هو: محمد بن أحمد بن حمدون النيسابوري الفراء أبو بكر الصوفي. ترجم له أبو عبد الرحمن السلمي في طبقات الصوفية (ص ٣٧٦)، فقال: "محمد بن أحمد بن حمدون الفراء أبو بكر، فهو من كبار مشايخ نيسابور، صحب أبا علي الثقفي وعبد الله بن منازل، وصحب أيضًا أبا بكر الشبلي وأبا بكر بن طاهر وغيرهم من المشايخ، وكان أوحد المشايخ في طريقته. مات سنة سبعين وثلاثمائة وأسند الحديث". وانظر: تاريخ الذهبي (٢٦/ ٥٢٥)، وبه يتبين أنه من أصحاب أبي علي الثقفي، وهذا يوضح ما نراه من ميل واضح للكلابية وتفخيم أمرهم، والله أعلم.

عثمان، وهو آدبهم، وأكثرهم جمعًا للعلوم، وأكثرهم رحلة، وشيخ المطوعة والمجاهدين، وأبي محمد يحيى بن منصور، وكان من أكابر البيوتات، وأعرفهم بمذهب ابن خزيمة وأصلحهم للقضاء.

فلما ورد منصور بن يحيى الطوسي(١) نيسابور، وكان يكثر الاختلاف إلى ابن خزيمة للسماع منه، وهو معتزلي، وعاين ما عاين من الأربعة الذين سميناهم؛ حسدهم! واجتمع مع أبي عبدالرحمن الواعظ القدري(٢) بباب معمر في أمورهم غير مرة فقالا: هذا إمام لا يسرع في الكلام، وينهى أصحابه عن التنازع في الكلام وتعليمه، وقد نبغ له أصحاب يخالفونه، وهو لا يدري، فإنهم على مذهب الكلابية، فاستحكم طمعهما في إيقاع الوحشة بين هؤلاء الأئمة"(٣).

قال أبو عبد الله الحاكم: "سمعت الإمام أبا بكر أحمد بن إسحاق(٤) يقول: كان من قضاء الله تعالى أن الحاكم أبا سعيد(٥) لما توفي أظهر ابن خزيمة الشماتة بوفاته...، فحدثني أبو بكر أحمد بن يحيى المتكلم قال: لما انصرفنا من الضيافة

---

(١) لم أقف له على ترجمة.

(٢) لم أتبين من هو.

(٣) سير أعلام النبلاء (١٤/ ٣٧٧ - ٣٧٨). وما نقله ابن حمدون عن منصور الطوسي وصاحبه القدري لم يسنده إلى سماع موثوق أو طريق متصل!

(٤) هو الصبغي، وقد رأيت غير واحد - منهم الحافظ البلقيني رَحِمَهُ ٱللَّهُ - توهم أن أبا بكر بن إسحاق شيخ أبي عبدالله الحاكم هو ابن خزيمة. انظر البدر المنير في تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في الشرح الكبير (٧/ ١٨٥،٦٥) (٨/ ١٥٥). والحاكم لم يدرك ابن خزيمة.

(٥) عبد الرحمن بن الحسين بن خالد النيسابوري أبو سعيد الحنفي، نعته الذهبي بـ"القاضي العلامة، شيخ أهل الرأي، بخراسان،..."، وقال: "مات في سنة تسع وثلاثمائة بنيسابور". سير أعلام النبلاء (١٤/ ٢٨٤).

اجتمعنا عند بعض أهل العلم، وجرى ذكر كلام الله: أقديم هو لم يزل، أو نثبت عند إخباره تعالى أنه متكلم به؟ فوقع بيننا في ذلك خوض، قال جماعة منا: كلام البارئ قديم لم يزل. وقال جماعة: كلامه قديم غير أنه لا يثبت إلا بإخباره وبكلامه....

قال: فجمع ابن خزيمة أصحابه وقال: ألم أنهكم غير مرة عن الخوض في الكلام ؟ ولم يزدهم على هذا ذلك اليوم... "(١).

قال الحاكم: "وحدثني عبد الله بن إسحاق الأنماطي المتكلم(٢) قال: لم يزل الطوسي بأبي بكر بن خزيمة حتى جرأه على أصحابه، وكان أبو بكر بن إسحاق وأبو بكر بن أبي عثمان يردان على أبي بكر ما يمليه، ويحضران مجلس أبي علي الثقفي، فيقرؤون ذلك على الملا، حتى استحكمت الوحشة"(٣).

قال الصِّبغي: "لما وقع من أمرنا ما وقع ووجد بعض المخالفين الفرصة في تقرير مذهبهم بحضرتنا، انتصب أبو عمرو الحيري للتوسط فيما بين الجماعة، وقرر لأبي بكر بن خزيمة اعترافنا له بالتقدم، وبين له غرض المخالفين في فساد

---

(١) سير أعلام النبلاء (١٤/ ٣٧٨ - ٣٧٩).

(٢) هو: أبو محمد عبد الله بن محمد بن إسحاق الرمجاري الأنماطي، ترجم له السمعاني في الأنساب (٣ / ٨٩)، ومما قال: "... كان من العباد، ومن قدماء أصحاب أبي علي الثقفي، ذكره الحاكم أبو عبد الله الحافظ.. سمع إبراهيم بن إسحاق الأنماطي وأقرانه مثل أبي بكر بن خزيمة، وتوفي في رجب من سنة إحدى وخمسين وثلاثمائة..."، وبه يعرف أنه من أصحاب الثقفي، فإذا ضم هذا إلى وصف الحاكم له بـ(المتكلم)، تبين ما في سياقه من ميل للكلابية، حتى وصل به الأمر أن يعد كلام الإمام ابن خزيمة في تلامذته وأصحابه (جرأة)، ولا يرى في كلام هؤلاء التلاميذ في شيخهم وردهم عليه ما يستوجب التقبيح!

(٣) سير أعلام النبلاء (١٤/ ٣٧٧ - ٣٧٨).

الحال، إلى أن وافقه على أن نجتمع عنده، فدخلت أنا، وأبو علي، وأبو بكر بن أبي عثمان، قال أبو علي الثقفي للإمام: ما الذي أنكرت من مذاهبنا أيها الإمام حتى نرجع عنه؟ قال: ميلكم إلى مذهب الكلابية، فقد كان أحمد بن حنبل من أشد الناس على عبد الله بن سعيد وعلى أصحابه مثل الحارث المحاسبي وغيره، حتى طال الخطاب بينه وبين أبي علي في هذا الباب.

فقلت: قد جمعت أنا أصول مذاهبنا في طبق فأخرجت إليه الطبق فقلت: تأمل ما جمعته بخطي، وبينته في هذه المسائل، فإن كان فيها شيء تكرهه فبين لنا وجهه، فذكر أنه تأمله ولم ينكر منه شيئًا، وذكر لشيخه الخط وفيه: إن الله بجميع صفات ذاته واحد، لم يزل، ولا يزال، وما أضيف إلى الله من صفات فعله مما هو غير بائن عن الله فغير مخلوق، وكل شيء أضيف إلى الله بائن عنه دونه مخلوق"(١).

قال أبو سعيد عبد الرحمن بن أحمد المقرئ(٢)، "سمعت ابن خزيمة يقول: القرآن كلام الله ووحيه وتنزيله غير مخلوق، ومن قال: شيء منه مخلوق، أو يقول: إن القرآن محدث، فهو جهمي، ومن نظر في كتبي، بان له أن الكلابية لعنهم الله كذبة فيما يحكون عني بما هو خلاف أصلي وديانتي(٣)، قد عرف أهل الشرق

---

(١) جمعت كلام الصبغي من غير مصدر. انظر درء تعارض العقل والنقل (٢/ ٨١) ومجموع الفتاوى (٦/ ١٧١)، وسير أعلام النبلاء (١٤/ ٣٨٠)، وتذكرة الحفاظ للذهبي (٢/ ٢١١).

(٢) عبد الرحمن بن أحمد بن حمدويه، أبو سعيد النيسابوري المقرئ المؤذن. قال الذهبي: "...كان خيّرًا مجتهدًا من أولاد المحدثين"، توفي سنة تسع وأربعين وثلاثمائة. انظر: تلخيص تاريخ نيسابور (ص ٩٣)، وتاريخ الإسلام للذهبي (٢٦/ ٤٢٠).

(٣) يستفاد من هذا أن كلامًا نُقل عن الإمام ابن خزيمة في تلك الفتنة لم يقله، وهو ما دعاه إلى أن يرمي تلامذته الكلابية بالكذب، وفي بعض ما نقله الإمام ابن تيمية لوقائع هذه الخصومة ما =

والغرب أنه لم يصنف أحد في التوحيد والقدر وأصول العلم مثل تصنيفي، [فالحاكي عني خلاف ما في كتبي المصنفة التي حملت إلى الآفاق شرقًا وغربًا كذبة فسقة][(١)]، وقد صح عندي أن هؤلاء الثقفي، والصبغي، ويحيى بن منصور كذبة، قد كذبوا علي في حياتي[(٢)]، فمحرم على كل مقتبس علم أن يقبل منهم شيئًا

=

يفيد أنهم رموه بقول جهم، وأنه يقول أن القرآن محدث؛ أي مخلوق. انظر درء تعارض العقل والنقل (١/ ٢٧٥).

(١) ما بين المعكوفتين زدته من كتاب الاستقامة لابن تيمية (١/ ١٠٩)، وقد نقله من طريق الحاكم عن عبد الرحمن المقرئ.

(٢) دافع الحافظ الذهبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن هؤلاء الأعلام، بقوله: "ما هؤلاء بكذبة، بل أئمة أثبات، وإنما الشيخ تكلم على حسب ما نقل له عنهم، فقبح الله من ينقل البهتان، ومن يمشي بالنميمة"، فجعل الحمل فيه على الناقل الذي وصفه بأنه يمشي بالنميمة وينقل البهتان، ولا يبعد ما قال، لكون الثقفي والصبغي ويحيى بن منصور من العلماء المشار إليهم في زمانهم، ومن الحفاظ المعروفين بالصدق في الرواية، إلا أن نفي تعمد الكذب عنهم، لا ينفي التوسع في تقويلهم الإمام ما لم يقله، خاصة في مواطن التشاحن والخلاف، فقد يتوسع الناقل - نصرة لقوله - في نسبة القول بما يظهر له من لازم كلام مخالفه، أو بما يفهمه - هو وحده! - من كلامه، ولذا فكلام الحافظ الذهبي مقابل بعبارة الإمام ابن خزيمة "قد صح عندي"، والله أعلم بالحقائق، لكن من نظر إلى هذه الرواية الكلابية التي ينقلها الحافظ الحاكم وتلميذه البيهقي يرى مصداق توسع الكلابية في نقل ما يوافق هواهم، علما أنه قد رماهم غير الإمام ابن خزيمة بهذا النهج، ففي رسالة الإمام السجزي في الرد على من أنكر الحرف والصوت (ص ٢٠٢) ذكر من جملة فضائح الكلابية، ما عبر عنه بقوله: "ومنها ما ارتكبه أهل الوقت منهم... أن كل من (يخالفهم) نسبوه إلى سب العلماء لينفروا قلوب العوام عنه وقرفوه بأقاويل لا يقول بها ولا يعتقدها بهتًا منهم وكذبًا..."، ويقول أيضا في (ص ٢٣١): "الكذب على المذاهب قد انتشر، فالواجب على كل مسلم يحب الخلاص أن لا يركن إلى كل أحد ولا يعتمد على كل كتاب ولا يسلم عنانه إلى من أظهر له الموافقة...".

يحكونه عني، وابن أبي عثمان أكذبهم عندي، وأقولهم علي ما لم أقله"[١].

وجاء عنه أيضًا فيما نقله الحافظ الحسين بن علي النيسابوري، قال: "سمعت محمد بن إسحاق بن خزيمة يقول: دخل إلي جماعة من الكلابية، وسماهم بأسمائهم، قال: فقلت لهم: إن كان كما تزعمون أن الله لم يكن خالقًا حتى خلق الخلق، فأنتم تزعمون أن الله ليس بالآخر، والله يقول هو الأول والآخر، وأنه ليس بمالك يوم الدين؛ لأن يوم الدين يوم القيامة. فبهتوا ورجعوا".

وبهذا يظهر أن حوارات الإمام ابن خزيمة مع الكلابية كانت في مجالس عدة، وفي أوقات متفرقة، حتى برزت تلك الخصومة الكبيرة في آخر حياته، حين تبين له أن عدة من تلامذته والآخذين عنه قد تأثروا بهذا المذهب وبُلوا بهذا الأمر.

وجاء فيما نقله الإمام ابن تيمية لأحداث ما جرى - نقلًا عن أبي عبد الله الحاكم - قال: سمعت أبا محمد الأنماطي[٢] العبد الصالح يقول: "لما استحكمت تلك الوقعة وصار لا يجتمع عشرة في البلد إلا وقع بينهم تشاجر فيه، وصار أكثر العوام يتضاربون فيه؛ خرج أبو عمرو الحيري[٣] إلى الري والأمير الشهيد[٤] بها حتى ينجز كتبًا إلى خليفته[٥]: كتاب! إلى أبي بكر بن إسحاق بأن

(١) سير أعلام النبلاء (١٤/ ٣٧٧)، وتاريخ الإسلام للذهبي (٢٣/ ٤٢٥).

(٢) هو عبد الله بن محمد بن إسحاق الرمجاري، سبقت ترجمته (ص ٣٠٧).

(٣) هو الحافظ الإمام الرحال أحمد بن محمد بن أحمد النيسابوري أبو عمرو الحيري، توفي سنة سبع عشرة وثلاثمائة، انظر تذكرة الحفاظ (٣/ ٧٩٨)

(٤) هو الأمير أحمد بن إسماعيل بن أحمد السامانيّ، توفي سنة إحدى وثلاثمائة. انظر: الكامل في التاريخ (٣/ ٣٩٣)، لكن أحداث هذه الفتنة كانت قبيل وفاة الإمام ابن خزيمة، وبعد سنة تسع وثلاثمائة كما سيأتي، والأمير حينذاك ابنه نصر الساماني الملقب بالسعيد، فالله أعلم بالصواب.

(٥) الخليفة آنذاك هو المقتدر بالله جعفر بن المعتضد بالله العباسي. انظر: البداية والنهاية لابن =

ينفي من البلد الأربعة الذين خالفوا أبا بكر. ثم ذكر أنهم عقدوا لهم مجلسًا"[١].

ونقل الحاكم "...أنه كتب إلى جماعة من العلماء تلك المسائل، وأنهم كانوا يرفعون من خالف أبا بكر إلى السلطان، وأن أمير نيسابور أمر أن يمتثل أمر أبي بكر فيهم من النفي والضرب والحبس، وأن عبد الله بن حمشاد[٢] قال: طوبى لهم إن كان ما يقال عنهم مكذوبًا عليهم، وأن عبد الله بن حمشاد من غد ذلك اليوم قال: رأيت البارحة في المنام كأن أحمد بن السري الزاهد المروزي لكمني برجله ثم قال: كأنك في شك من أمور هؤلاء الكلابية؟ قال: ثم نظر إلى محمد بن إسحاق[٣] فقال: ﴿ هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا۟ بِهِۦ وَلِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾[إبراهيم:٥٢]"[٤].

وبه يتبين أن أكثر العلماء كانوا على موافقة الإمام ابن خزيمة فيما ذهب إليه وقرره، بخلاف ما عليه الكلابية، ولذا فما ذكره أبو الحسن علي بن أحمد البوشنجي[٥]،

=

كثير (١١/ ١١٨).

(١) مجموع الفتاوى (٦/ ١٧٧)، والنص قلق لم يتبين لي وجه التصحيف فيه.

(٢) هو عبد الله بن حمشاد النيسابوري أبو عبد الرحمن المطوعي، توفي سنة عشرين وثلاثمائة، ترجم له الذهبي في تاريخه (٢٣/ ٦٠٧)، وقد تحرف اسمه في درء التعارض إلى (عبد الله بن حماد)، وانظر: الملخص من تاريخ نيسابور (ص ٦٧).

(٣) هو الإمام ابن خزيمة.

(٤) انظر درء تعارض العقل والنقل (٢/ ٨١)، ومجموع الفتاوى (٦/ ١٧٦).

(٥) علي بن أحمد البوشنجي أبو الحسن الزاهد، ترجم له الحاكم فقال: "الصوفي الزاهد الورع العالم السخي المجود...، ورد نيسابور أول ما وردها...، فلم يشتغل إلا بأصحاب المعاملات...، خرج فلقي شيوخ التصوف بالعراقين والشام...، استوطن بنيسابور... فبنى له دار التصوف.... توفي بنيسابور سنة سبع وأربعين وثلاثمائة". انظر: تاريخ دمشق لابن عساكر (٤١/ ٢١٤).

من قوله: "دخلت على عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي[١] بالري، فأخبرته بما جرى بنيسابور بين أبي بكر بن خزيمة وبين أصحابه، فقال: ما لأبي بكر والكلام؟ إنما الأولى بنا وبه أن لا نتكلم فيما لم نتعلمه.

قال: فخرجت من عنده حتى دخلت على أبي العباس القلانسي[٢] فقال: كان بعض القدرية من المتكلمين وقع إلى محمد بن إسحاق، فوقع لكلامه عنده قبول. ثم خرجت إلى بغداد فلم أدع بها فقيهًا ولا متكلمًا إلا عرضت عليه تلك المسائل، فما منهم أحد إلا وهو يتابع أبا العباس القلانسي على مقالته، ويغتم لأبي بكر محمد بن إسحاق فيما أظهره"[٣].

إنما هو وفق الرؤية والرواية الكلابية، فإن أبا الحسن البوشنجي[٤] وأبا

---

(١) عبد الرحمن ابن أبي حاتم محمد بن إدريس الحنظلي الرازي، نعته الذهبي في تذكرة الحفاظ (٣/ ٣٤) بالإمام الحافظ الناقد شيخ الإسلام، توفي سبع وعشرين وثلاثمائة.

(٢) أبو العباس أحمد ابن عبد الرحمن بن خالد القلانسي الرازي من معاصري الأشعري، قال ابن عساكر: "...اعتقاده موافق لاعتقاد [أبي الحسن الأشعري] في الإثبات"، وقد عده السبكي في طبقات الشافعية من الأشاعرة، لموافقته له في المذهب، فكلاهما في الإجمال على مذهب ابن كلاب، قال أبو نصر السجزي في رسالته في الحرف والصوت (ص ٢٢٢): "... بلي أهل السنة.. بقوم يدّعون أنهم من أهل الاتباع، وضررهم أكثر من ضرر المعتزلة وغيرهم، وهم أبو محمد بن كلاب وأبو العباس القلانسي وأبو الحسن الأشعري..."، وانظر: تبيين كذب المفتري (ص ٣٩٨)، وطبقات الشافعية الكبرى (٢ / ٣٠٠).

(٣) الأسماء والصفات للبيهقي (٢ / ٢٣).

(٤) ساق الحاكم في تاريخه ما يبين أن أبا الحسن هذا كان موافقًا للثقفي في هذه الخصومة، وأنه كتب على باب حانوت أبي علي الثقفي: القول ما قاله أبو علي، وأنه لما رآه بعض مؤيدي الإمام ابن خزيمة ببغداد تعلقوا به حتى ساقوه إلى الوزير، وذكرو له أنه على مذهب من كفرهم الإمام، لكن الوزير أمر بتخليته، وعلل أن الخصومة بنيسابور لا ببغداد. انظر =

العباس القلانسي كلاهما على هذا المذهب.

ولذا فإن قول أبي بكر البيهقي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "...وقد رجع محمد بن إسحاق إلى طريقة السلف وتلهف على ما قال" خلاف الثابت عنه[1]، فلم يزل الإمام ابن خزيمة على طريقة السلف فيما ذهب إليه وقرره، والذي وافقه عليه أعيان الأئمة في عصره[2] - كما سيأتي -، والذي تاب ورجع عما ذهب إليه هم مخالفوه من الكلابية، كما ذكره غير واحد، فقد "ذكر أبو إسماعيل الأنصاري في كتاب ذم الكلام، قال: سمعت أبا نصر بن أبي سعيد الرداد[3]، سمعت إبراهيم بن إسماعيل الخلال[4] يقول: إني ذهبت بكتاب ابن خزيمة في الصِّبغي والثقفي إلى

=

الأحداث فيما نقله ابن عساكر في تاريخ دمشق (٤١/ ٢١٤)

(١) أما تلك القصة التي ذكرها البيهقي في كتابه الأسماء والصفات (٢/ ٢١) من طريق أبي الفضل البطايني حاجب الإمام فيما ذكر، فإنها مع أنها لا تفيد رجوعًا له عن مسائل الخلاف له مع الكلابية، وأن غاية ما تدل عليه نفور الإمام ابن خزيمة من علم كلام، وعدم معرفته له = ليس إسنادها بالقائم، فإن راويها البطايني لا يعرف، والله أعلم.

(٢) كما أن تسمية الحافظ البيهقي غفر الله له قول الكلابية طريقة السلف، خلاف الواقع، وإنما أُتي رَحِمَهُ ٱللَّهُ من تأثره بهم ومتابعته لمذهبه، وانظر كتاب البيهقي وموقفه من الإلهيات للدكتور أحمد بن عطية الغامدي.

(٣) كذا في المطبوع، والذي يظهر لي أنه: أبو نصر محمد بن أبي سعيد أحمد بن سعيد الولي النيسابوري، ذكره الحاكم في تاريخ نيسابور، وقال السمعاني في الأنساب (٥/ ٦١٥): (... من أهل نيسابور. ذكره الحاكم أبو عبد الله في التاريخ وقال: أبو نصر بن أبي سعيد الولي كتب معنا الكثير، وقرأ القرآن بأحرف، ثم كتب للقضاة سنين، وتوفي في شوال سنة إحدى وثمانين وثلاثمائة...". وانظر الملخص من تاريخ نيسابور (ص ١٠٠).

(٤) إسماعيل بن أحمد بن محمد التاجر الجرجاني، نعته الحاكم بأحد الجوالين في طلب الحديث والوراقين والمفيدين، توفي سنة أربع وستين وثلاثمائة. انظر: تاريخ دمشق لابن =

أمير المؤمنين، فكتب بصلبهما، فقال ابن خزيمة: لا، قد علم رسول الله ﷺ النفاق من أقوام فلم يصلبهم. قال أبو إسماعيل: سمعت إسماعيل بن عبد الرحمن الصابوني يقول: استتيب الصبغي والثقفي على قبر ابن خزيمة "[١].

قال الحاكم: "سمعت أبا سعيد بن أبي بكر يقول: لما وقع من أمر الكلابية ما وقع بنيسابور، كان أبو العباس السراج، يمتحن أولاد الناس، فلا يحدث أولاد الكلابية... "[٢].

قال الإمام ابن تيمية: "...ومن الموافقين لابن خزيمة: أبو حامد الشاركي[٣]، وأبو سعيد الزاهد[٤]، ويحيى بن عمار[٥]، وأبو عثمان النيسابوري الملقب بشيخ الإسلام[٦]... "[٧].

=

عساكر (٨/ ٣٥٩).

(١) درء تعارض العقل والنقل (٢/ ٨٢)، ولم أقف عليه في القسم المطبوع من كتاب ذم الكلام للهروي.

(٢) سير أعلام النبلاء (١٤ / ٣٩٥)

(٣) أحمد بن محمد بن شارك الهروي أبو حامد الشاركي، العلامة الحافظ المفسر، مفتي هراة وشيخها، توفي سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة، ترجم له الذهبي في سير أعلام النبلاء (١٦/ ٢٧٣).

(٤) لعله: محمد بن عبد الله بن حمدون، أبو سعيد النيسابوري الزاهد، ترجم له ابن نقطة في التقييد (ص ٧٤). أو: محمد بن عبد الله بن إبراهيم أبو سعيد الزاهد، انظر: تاريخ الذهبي (٢٥/ ٣٥٩).

(٥) هو يحيى بن عمار بن يحيى الشيباني أبو زكريا السجستاني، ترجم له الذهبي في سير أعلام النبلاء (١٧/ ٤٨١)، ونعته: بـ"الامام المحدث الواعظ، شيخ سجستان...". توفي سنة اثنتين وعشرين وأربعمائة. وانظر: تاريخ الإسلام له (٢٩/ ٩٧)

(٦) هو إسماعيل بن عبدالرحمن بن أحمد النيسابوري، الصابوني أبو عثمان، ترجم له الذهبي في سير أعلام النبلاء (١٨/ ٤٠) فوصفه بـ"الامام العلامة القدوة المفسر المذكر المحدث شيخ الإسلام"، توفي سنة تسع وأربعين وأربعمائة.

(٧) درء تعارض العقل والنقل (٢/ ٨٣).

وذكر الإمام ابن تيمية - قبل ذلك - أنّ من الموافقين لابن خزيمة أيضًا: "...الحاكم أبو عبدالله[١]، وأبو عبد الرحمن السلمي[٢]...وأبو عبد الله بن منده[٣]، وأبو نصر السجزي[٤]، وشيخ الإسلام أبو إسماعيل الأنصاري[٥]، وأبو القاسم سعد بن علي الزنجاني[٦]، وغيرهم... "[٧].

قلت: كأبي عمرو أحمد بن محمد الحيري، وأبي العباس السراج، وإبراهيم

---

(١) هو الحافظ "محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه الضبي النيسابوري" صاحب المستدرك على الصحيحين، ترجم له الذهبي في سير أعلام النبلاء (١٧/ ١٦٣)، ونعته بـ(الامام الحافظ الناقد العلامة شيخ المحدثين.. صاحب التصانيف..."، توفي سنة ثلاث وأربعمائة.

(٢) هو الحافظ محمد بن الحسين الازدي السلمي النيسابوري، ترجم له الذهبي في سير أعلام النبلاء (١٧/ ٢٤٧)، ونعته بـ"الامام الحافظ المحدث، شيخ خراسان وكبير الصوفية... صاحب التصانيف". توفي سنة اثنتي عشرة وأربعمائة.

(٣) هو الحافظ محمد بن إسحاق بن محمد بن يحيى ابن منده، ترجم له الذهبي في سير أعلام النبلاء (١٧/ ٢٨)، ووصفه بـ"الامام الحافظ الجوال محدث الاسلام...". توفي سنة اثنتي عشرة وأربعمائة.

(٤) هو الحافظ عبيد الله بن سعيد بن حاتم الوائلي السجستاني، ترجم له الذهبي في سير أعلام النبلاء (١٧/ ٦٥٤) ووصفه بـ"الإمام العالم الحافظ المجود شيخ السنة...شيخ الحرم...". توفي سنة أربع وأربعين وأربعمائة.

(٥) هو الحافظ عبد الله بن محمد بن علي بن محمد الهروي من ذرية أبي أيوب الأنصاري، ترجم له الذهبي في تذكرة الحفاظ (٣/ ١١٨٣). توفي سنة إحدى وثمانين وأربعمائة.

(٦) هو الحافظ سعد بن علي بن محمد بن علي بن الحسين الزنجاني، ترجم له الذهبي في سير أعلام النبلاء (١٨/ ٣٨٥)، ووصفه بـ "الامام، العلامة الحافظ القدوة العابد شيخ الحرم...". توفي سنة إحدى وسبعين وأربعمائة.

(٧) درء تعارض العقل والنقل (٢/ ٩).

بن إسماعيل الخلالي[١]، وأبي عمرو أحمد بن محمد بن عمر السمسار[٢].

قال ابن تيمية: "أما أبو ذر الهروي[٣] وأبو بكر البيهقي[٤] وطائفة أخرى فهم مع ابن كلاب".

وقال: "أكثر أهل العلم والدين كانوا مع ابن خزيمة على الكلابية"[٥].

---

(١) تقدم في أخبارهم ما يدل على ذلك.

(٢) أحمد بن محمد بن عمر النيسابوري، قال فيه الحاكم: "كان من المتعصبين لأهل السنة الباذلين للمال والجاه، وكان [أبوه] مجاب الدعوة". انظر: الملخص من تاريخ نيسابور (ص ٦٣)، وخبر أبي عمرو في إنكاره على الكلابية ورد في تاريخ دمشق (٤١/ ٢١٤)، وجاء فيه تكفير ابن خزيمة لهم.

(٣) عبد بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن غفير أبو ذر الهروي، نعته الذهبي بـ"الحافظ الامام المجود، العلامة، شيخ الحرم،... راوي الصحيح "، توفي سنة أربع وثلاثين وأربعمائة أو خمس. سير أعلام النبلاء (١٧/ ٥٥٤). وقد أبان غير واحد تأثر أبي ذر بالكلابية وأخذه عنهم، قال الإمام ابن تيمية في درء تعارض العقل والنقل (١/ ٢٨٣): "...قدم إلى بغداد من هراة، فأخذ طريقة ابن الباقلاني وحملها إلى الحرم، فتكلم فيه وفي طريقته من تكلم كأبي نصر السجزي وأبي القاسم سعد بن علي الزنجاني وأمثالهما من أكابر أهل العلم والدين...، وهو ممن يرجح طريقة الصِّبْغي والثقفي على طريقة ابن خزيمة وأمثاله من أهل الحديث....".

(٤) أبو بكر أحمد بن الحسين الخسروجردي الخراساني، نعته الذهبي بـ"الحافظ العلامة، الثبت، الفقيه، شيخ الاسلام"، توفي سنة ثمان وخمسين وأربعمائة. انظر: سير أعلام النبلاء (١٨/ ١٦٣)، وهو من أعلام متقدمي الأشعرية الكلابية، انظر: كتاب (البيهقي وموقفة من الإلهيات)، د. أحمد الغامدي.

(٥) درء تعارض العقل والنقل (٢/ ٨٢)

المبحث الأول

جهود الإمام ابن خزيمة العلمية

المطلب الأول

إنكار الإمام ابن خزيمة على الكلابية ومن تأثر بهم الخوض في علم الكلام، والتحذير منه

من المقرر عند أهل السنة النهي عن علم الكلام(١)، وعن الخوض في العقائد من جهته؛ لما يوقع صاحبه في مخالفة الكتاب والسنة وما كان عليه سلف الأمة من الصحابة والتابعين.

---

(١) علم الكلام الذي جاء ذمه في كلام السلف هو: هو الكلام في الله وصفاته بما هو نتاج العقول المخالف للكتاب والسنة، قال الإمام مالك: "...أهل البدع الذين يتكلمون في أسماء الله وصفاته وكلامه وعلمه وقدرته ولا يسكتون عما سكت عنه الصحابة والتابعون لهم بإحسان"، وقال الإمام أحمد: "لا أرى الكلام في شيء من هذا إلا ما كان في كتاب الله أو حديث عن رسول الله ﷺ أو عن أصحابه أو عن التابعين، فأما غير ذلك فالكلام فيه غير محمود"، وقال أبو القاسم التيمي: "...أما الكلام في أمر الدين وما يرجع إلى الاعتقاد من طريق المعقول فلم ينقل عن أحد منهم، بل عدوه من البدع والمحدثات، وزجروا عنه غاية الزجر ونهوا عنه..."، وقال الإمام ابن تيمية: "ومرادهم بأهل الكلام من تكلم في الله بما يخالف الكتاب والسنة..."، وقال أيضًا: "مرادهم بالكلام هو كلام الجهمية الذي نفوا به الصفات..."، وبه يتبين أن تسمية أهل البدعة له بالتوحيد أو أصول الدين هو من التمويه والتلبيس، وهذا الوصف يشترك فيه كل الطوائف الذين نهجوا هذا المسلك من المعطلة والصفاتية، كالجهمية والمعتزلة والكلابية والأشعرية، حيث جعلوا عقولهم حكمًا على ما جاء في الكتاب والسنة، فعطلوا صفات الرب، وحرفوا دلالات الكتاب والسنة.

ولذا قال أبو يوسف رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "العلم بالكلام جهل، والجهل بالكلام هو العلم"[١]. وقال: "من طلب الدين بالكلام تزندق"[٢].

وقال الإمام مالك بن أنس: "ولوكان الكلام علمًا لتكلم فيه الصحابة والتابعون"[٣].

وقال الإمام الشافعي: "ما تردّى أحد بالكلام فأفلح"[٤]. وقال أيضًا: "حكمي في أصحاب الكلام أن يُضربوا بالجريد، ويُحملوا على الإبل، ويُطاف بهم في العشائر والقبائل، ويُنادى عليهم: هذا جزاء من ترك الكتاب والسنة وأخذ في الكلام"[٥].

قال يونس ابن عبد الأعلى: أتيت الشافعي - رحمة الله عليه - بعد ما كلمه حفص الفرد[٦] فقال: "... لقد اطلعت من أهل الكلام على شيء والله ما توهمته قط، ولأن يبتلى المرء بما نهى الله عنه خلا الشرك بالله خير له من أن يبتلى بالكلام"[٧].

---

(١) رواه ابن بطة في الإبانة (١/ رقم ٦٦٨)، والخطيب في تاريخ بغداد (٧/ ٦١).

(٢) رواه ابن عدي في الكامل (١/ ٥٣)، ووكيع في أخبار القضاة (٣/ ٢٥٨).

(٣) رواه أبو إسماعيل الهروي في ذم الكلام (رقم ٨٦٠).

(٤) رواه ابن أبي حاتم في آداب الشافعي ومناقبه (ص ١٣٧)، والأصبهاني في الحجة في بيان المحجة (١/ ٢٢٤).

(٥) رواه أبو نعيم في حلية الأولياء (٩/ ١١٦)، وابن عبد البر في الانتقاء في فضائل الثلاثة الأئمة الفقهاء (ص ٨٠).

(٦) حفص الفرد، ترجم له ابن النديم في الفهرست (ص ٢٥٥)، فقال: "...يكنى أبا عمرو، وكان من أهل مصر قدم البصرة فسمع بأبي الهذيل واجتمع معه..."، عدّه الشهرستاني في الملل والنحل (١/ ٢٠) في المعتزلة المتوسطين.

(٧) رواه ابن بطة الإبانة الكبرى رقم (٦٦١) وأبو نعيم في حلية الأولياء (٩/ ١١١).

وقال الإمام أحمد: "لا يفلح صاحب كلام أبدًا، ولا يرى أحد نظر في الكلام إلا في قلبه دغل"(١).

وعلى هذا سار الإمام ابن خزيمة في ذم الكلام وأهله، ولذا يقول رَحِمَهُ ٱللَّهُ في مقدمة كتابه التوحيد: "... وأنا كاره الاشتغال بتصنيف ما يشوبه شيء من جنس الكلام"(٢).

ولما اطلع على ما بُلي به بعض أصحابه وتلامذته من الخوض بعلم الكلام، وتأثرهم بمذهب ابن كلاب، اشتد نكيره عليهم، وحذرهم من الخوض فيه.

قال أبو عبد الله الحاكم: "... حدثني أبو بكر أحمد بن يحيى المتكلم قال: لما انصرفنا من الضيافة اجتمعنا عند بعض أهل العلم، وجرى ذكر كلام الله: أقديم هو لم يزل، أو نثبت عند إخباره تعالى أنه متكلم به؟ فوقع بيننا في ذلك خوض، قال جماعة منا: كلام البارئ قديم لم يزل. وقال جماعة: كلامه قديم غير أنه لا يثبت إلا بإخباره وبكلامه....

قال: فجمع ابن خزيمة أصحابه وقال: ألم أنهكم غير مرة عن الخوض في الكلام؟ ولم يزدهم على هذا ذلك اليوم..."(٣).

وقال محمد بن الحسين السلمي: "رأيت بخط أبي عمرو بن مطر يقول: سئل ابن خزيمة عن الكلام في الأسماء والصفات، فقال: "بدعة ابتدعوها ولم

---

(١) انظر: تحريم النظر في كتب الكلام لابن قدامة (ص ٤١)، ودرء تعارض العقل والنقل (٧/ ١٤٧).
(٢) التوحيد وإثبات صفات الرب عزو جل (١/ ٩).
(٣) سير أعلام النبلاء (١٤/ ٣٧٧ - ٣٧٨).

يكن أئمة المسلمين وأرباب المذاهب وأئمة الدين - مثل: مالك وسفيان والأوزاعي والشافعي وأحمد وإسحاق ويحيى بن يحيى وابن المبارك ومحمد بن يحيى وأبي حنيفة ومحمد بن الحسن وأبي يوسف - يتكلمون في ذلك وينهون عن الخوض فيه، ويدلون أصحابهم على الكتاب والسنة، فإياك والخوض فيه والنظر في كتبهم بحال"[١].

فهذا هو موقف الإمام ابن خزيمة من علم الكلام، وتحذيره من الخوض فيه، وبه يتبين أن تلك القصص التي يرويها بعض الكلابية في خوض هذا الإمام بعلم الكلام، ونقد معاصريه من أئمة أهل الحديث له، لا يُلتفت إليها؛ لفقدها شروط الثبوت، فصاحبها إما مجهول لا يعرف، وإما كلابي ينصر بدعته.

المطلب الثاني

الكشف عن فساد قولهم والرد العلمي عليهم

ومن الجهود التي بذلها الإمام ابن خزيمة في تحذيره من بدع الكلابية مناقشاته العلمية لأقوالهم وبيان بطلان شبههم.

ولمّا كان مبحث الصفات الاختيارية - وبالأخص مسألة الكلام - هو أبرز المسائل التي خالف فيها الكلابيةُ أهلَ السنة والجماعة[٢]، وهي المسألة التي

---

(١) الاستقامة لابن تيمية (١/ ١٠٨).

(٢) قال ابن تيمية في درء تعارض العقل والنقل (٢/ ٩٨): "...سائر المسائل ليس لابن كلاب والأشعري بها اختصاص، بل ما قالاه قاله غيرهما، إما من أهل السنة والحديث وإما من غيرهم، بخلاف ما قاله ابن كلاب في مسألة الكلام، وتبعه عليه الأشعري، فإنه لم يسبق ابن كلاب إلى ذلك أحد، ولا وافقه عليه أحد من رؤوس الطوائف، وأصله في ذلك هي مسألة الصفات =

كانت مثار الاختلاف بين الإمام ابن خزيمة ومن عاصره من الكلابية = تناولها الإمام بالبيان والتفصيل؛ إزالةً لموارد الاشتباه والإجمال، وبيانًا لدلالة الكتاب والسنة. وبيان ذلك على ما يلي:

١) بيان مخالفة قولهم لمذهب سلف الأمة:

من المقرر عند سلف الأمة وأئمتها الإيمان بما وصف الله به نفسه أو وصفه به رسول ﷺ، من غير تعطيل ولا تمثيل، سواء في ذلك صفات ذاته أو صفات فعله[١]، وأن الواجب في نصوص الصفات إمرارها كما جاءت من غير تحريف ولا تمثيل ولا تعطيل ولا تكييف.

قال أبو داود الطيالسي: "كان سفيان الثوري وشعبة وحماد بن زيد وحماد بن سلمة وشريك وأبو عوانة لا يحدّون ولا يشبهون ولا يمثلون، يروون الحديث لا يقولون كيف، وإذا سُئلوا أجابوا بالأثر...، وهو قولنا"[٢]. وقال الوليد بن مسلم: "سألت سفيان والأوزاعي ومالك بن أنس والليث بن سعد عن هذه الأحاديث فقالوا: نُمِرّها كما جاءت"[٣]، قال الإمام الشافعي: "آمنت بالله، وبما جاء عن الله، على مراد الله، وآمنت برسول الله، وبما جاء عن رسول الله، على

=

الاختيارية، ونحوها من الأمور المتعلقة بمشيئته وقدرته تعالى: هل تقوم بذاته أم لا؟".

(١) تناولت بيان الفرق بين صفات الذات وصفات الفعل في بحث لي في الصفات الاختيارية عند الكلابية، ومما قيل في الفرق بينهما: أن صفات الذات هي نعوت الكمال الملازمة لها، وصفات الفعل متعلقة بمشيئة الله. وانظر فتاوى اللجنة الدائمة، المجموعة الأولى (٣/ ١٦٠).

(٢) انظر السنن الكبرى للبيهقي (٣/ ٣).

(٣) رواه الخلال في السنة (رقم ٣١٣)، والدارقطني في الصفات (رقم ٦٨).

مراد رسول الله "[١].

أما الكلابية فقد أقروا بصفات الذات، ونازعوا في صفات الفعل[٢]، وما جاءت النصوص به: فمنه ما عدوه من صفات الذات[٣]، ونفوا تعلقه بالمشيئة! كالكلام[٤] والغضب والرضا والفرح الاستواء والنزول[٥]، ومنه ما جعلوه من باب النسب والإضافات التي شاركوا فيها المعطلة[٦].

ولنخصّ حديثنا في صفة الكلام التي وقع فيها النزاع بين الإمام ابن خزيمة ومن خالفه من الكلابية:

قال أبو الوليد حسان بن محمد الفقيه: "سمعت ابن خزيمة يقول: القرآن كلام الله تعالى، ومن قال: إنه مخلوق فهو كافر، يستتاب؛ فإن تاب وإلا قتل، ولا يدفن في مقابر المسلمين".

وقال في كتاب التوحيد: "باب من الأدلة التي تدل على أن القرآن كلام الله

---

(١) انظر: لمعة الاعتقاد لابن قدامة (ص ١٠). وكلام السلف تضمن تفويض الكيفية، لا تفويض المبتدعة المتضمن التعطيل والتجهيل. وانظر: كتاب مذهب أهل التفويض في نصوص الصفات عرض ونقد للدكتور أحمد القاضي.

(٢) انظر آراء الكلابية العقدية، للأستاذة هدى الشلالي، (ص١٢٥).

(٣) انظر مقالات الإسلاميين (ص ٥١٧، ٥٨٢، ٥٤٦).

(٤) قال الحافظ الذهبي في ترجمة ابن كلاب في سير أعلام النبلاء (١١/ ١٧٥): "... وكان يقول بأن القرآن قائم بالذات بلا قدرة ولا مشيئة. وهذا ما سبق إليه أبدًا، قاله في معارضة من يقول بخلق القرآن".

(٥) انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (٥/ ٤١٠)، والفصل في الملل والأهواء والنحل (٢/ ٩٧).

(٦) انظر: مجموع الفتاوى (٦/ ٢٢٩).

الخالق وقوله غير مخلوق، لا كما زعمت الكفرة من الجهمية المعطلة"[١].

وكلام الإمام ابن خزيمة هذا، وإن كان المراد به الرد على المعطلة الذين ينفون عن الرب صفة الكلام، ويقولون إن كلام الله مخلوق، كما هو صريح كلامه، فهو يتناول أيضًا كل من اعتقد أن القرآن الذي أنزله الله على رسوله محمد ﷺ - المفتتح بسورة الفاتحة المختتم بسورة الناس - مخلوق[٢]، وهو حقيقة اعتقاد ابن كلاب ومن تبعه[٣]، فهم وإن اعتقدوا أن الله متصف بصفة الكلام، وأن كلامه صفة قائمة بذاته، وأنه لم يزل متكلمًا، إلا أن القرآن - المنزل على رسوله محمد ﷺ - عندهم هو حكاية أو عبارة عن كلامه، لا أنه هو كلام الله على الحقيقة، فيقصرون الصفة على الكلام النفسي![٤]، والمُعَبِّر به

(١) كتاب التوحيد (١/ ٤٠٤).

(٢) انظر المناظرة في القرآن لابن قدامة، حيث يقول في أولها (ص ١٧): "...موضع الخلاف أننا نعتقد أن القرآن كلام الله، وهو هذه المائة والأربع عشرة سورة، أولها سورة الفاتحة وآخرها المعوذات...، وعندهم أن هذه السور والآيات ليست بقرآن، وإنما هي عبارة عنه وحكاية، وأنها مخلوقة، وأن القرآن معنى في نفس الباري...".

(٣) انظر الرسالة السجزي في الرد على من أنكر الحرف والصوت (ص٨١ - ٨٤)، ودرء تعارض العقل والنقل (٢/ ٨٦)، ولذا يقول الحافظ أبو القاسم الأصبهاني في كتابه الحجة في بيان المحجة (١/ ٤٠٠) موضحًا الفرق بين القولين: "قال أصحاب الحديث وأهل السنة: إن القرآن المكتوب الموجود في المصاحف، والمحفوظ الموجود في القلوب، وهو حقيقة كلام الله عَزَّوَجَلَّ، بخلاف ما زعم قوم أنه عبارة عن حقيقة الكلام القائم بذات الله عَزَّوَجَلَّ ودلالة عليه، والذي هو في المصاحف محدث وحروف مخلوقة. ومذهب علماء السنة وفقهائهم أنه الذي تكلم الله به، وسمعه جبريل من الله، وأدى جبريل إلى النبي ﷺ...".

(٤) هذا ما يقرره الأشعرية الكلابية، ففي الإنصاف للباقلاني (ص ١٠٧) يقول: "...الكلام الحقيقي هو المعنى القائم بالنفس دون غيره، وإنما الغير دليل عليه بحكم التواضع =

عندهم مخلوق[١]، فعاد اعتقادهم في القرآن إلى قول النفاة، وهذا ما صرح به المتأخرون من أتباعهم[٢].

ولذا جاء في كلام الإمام ابن خزيمة في كتابه التوحيد ردًا على مثل هذه الأقوال المنحرفة عند كلامه على تكليم الله لموسى: "...فبيّن اللهُ... بعضَ ما كلّم الله به موسى مما لا يجوز أن يكون من ألفاظ ملك مقرب ولا ملك غير مقرب، غير جائز أن يخاطب ملك مقرب موسى فيقول: إني أنا الله رب العالمين، أو يقول: إني أنا ربك فاخلع نعليك..."، ويقول ايضًا: "...ذكر البيان أن الله جل وعلا كلم موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ من وراء حجاب، من غير أن يكون بين الله تبارك وتعالى وبين موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ رسول يبلغه كلام ربه..."[٣].

على أن المنقول من كلام ابن كلاب في صفة الكلام ظاهر المخالفة في بعضه لكلام السلف واعتقادهم، فقد جاء في مقالات الإسلاميين: "قال عبد الله بن

=

والاصطلاح، ويجوز أن يسمى كلامًا؛ إذ هو دليل على الكلام، لا أنه نفس الكلام الحقيقي"، ويقول أبو المعالي الجويني في الأرشاد (ص ١١٧): "... فإن معنى قولهم: (هذه العبارات كلام الله) أنها خلقه، ونحن لا ننكر أنها خلق الله،... والكلام الذي يقضي أهل الحق بقدمه، هو الكلام القائم بالنفس..". وانظر أيضًا: المواقف للإيجي (ص ٢٩٤).

(١) انظر: مقالات الإسلاميين (ص ٥٨٤)، والإنصاف للباقلاني (ص ٩٧)، وسير أعلام النبلاء (١١/ ٥١١).

(٢) انظر: شرح جوهرة التوحيد لإبراهيم البيجوري (ص ٧٢)، ورسالة التوحيد لمحمد عبده (ص ٢٤)، ومذكرة التوحيد لطلاب المعاهد الأزهرية قسم (الإلهيات) تأليف حسن متولي (١/ ٩٣).

(٣) كتاب التوحيد (١/ ٣٤٦).

كلاب: إن الله سبحانه لم يزل متكلمًا، وإن كلام الله سبحانه صفة له قائمة به، وإنه قديم بكلامه،...وإن الكلام ليس بحروف ولا صوت ولا ينقسم ولا يتجزأ ولا يتبعض ولا يتغاير، وإنه معنى واحد بالله عَزَّوَجَلَّ... "(١).

فنفيه للحرف والصوت وما بعده، نفي لحقيقة الكلام المعروف في لغة العرب، وسيأتي ذكر إنكار الإمام ابن خزيمة للوازم قول الكلابية.

"قال أبو عبد الله الحاكم: سمعت أبا سعيد عبد الرحمن بن أحمد المقرئ: سمعت ابن خزيمة يقول: القرآن كلام الله، ووحيه، وتنزيله، غير مخلوق، ومن قال: إن شيئًا من وحيه وتنزيله مخلوق، أو يقول: إن أفعاله تعالى مخلوقة، أو يقول: إن القرآن محدث(٢)، فهو جهمي".

وقال: "من نظر في كتبي بان له أن الكلابية كذبة فيما يحكون عني... "(٣).

فتضمن كلام الإمام ابن خزيمة إنكاره على من وصف القرآن بأنه مخلوق، ويدخل في هذا الرد على ابن كلاب ومن وافقه، وقد سبق بيان أن حقيقة قول ابن كلاب ومن وافقه أن القرآن المنزل على نبينا محمد ﷺ مخلوق؛ لأنه حكاية عن كلامه القديم القائم بذات الرب. فالكلابية وإن كانوا لا يصرحون بوصفه بالخلق

---

(١) مقالات الإسلاميين للأشعري (ص ٥٨٤).

(٢) أي مخلوق بائن عنه، وهذا الاصطلاح كان مشتهرًا عندهم، لذا أنكر من أنكر من السلف إطلاقه على القرآن، كما أنكره الإمام أحمد على داود الظاهري، ذكر هذا ابن تيمية [مجموع الفتاوى (٥/ ٥٣٢)]، ونبه في موضع آخر (٦/ ١٦١) أن منهم من يطلق الحدث ويريد أنه تكلم بعد أن لم يكن متكلمًا، قال: "وهذا قول... ممن يقول إنه تحله الحوادث بعد أن لم تكن تحله، وقول من قال: إنه محدث، يحتمل هذا القول، وإنكار أحمد يتوجه إليه".

(٣) طبقات الشافعيين لابن كثير (ص ٢٢١)، وقد سبق نقل تمام قوله.

فإنه حقيقة قولهم.

لكن قد يفهم من سياق كلام ابن خزيمة أن المخالفين له من الكلابية لا يقولون بهذا؛ لأنهم هم من رمى الإمام بقول جهم، ولذا وصفهم بالكذب، وقد جاء في نسخة الكتاب التي عرضت على الإمام ابن خزيمة وتضمنت اعتقادهم: "... من زعم أن الله تعالى جل ذكره لم يتكلم إلا مرة ولا يتكلم إلا ما تكلم به ثم انقضى كلامه كفر بالله،......

وكان فيما كتب: القرآن كلام الله تعالى وصفة من صفات ذاته، ليس شيء من كلامه خلقًا ولا مخلوقًا، ولا فعلًا ولا مفعولًا، ولا محدثًا ولا حدثًا ولا أحداثًا".

وهذا الاعتقاد قبله الإمام ابن خزيمة، على ما حكاه الصِّبغي، والحقيقة أن الكلابية المخالفين للإمام ابن خزيمة لم يتعرضوا فيها لمواطن الخلاف، فمن المتفق عليه بينهم أن الله متصف بصفة الكلام، وأن صفات الله قائمة بذاته. وموطن النزاع: هو في أن الله يتكلم بمشيئته، وأن القرآن المنزل على نبينا محمد ﷺ كلام الله حقيقة، لا أنه دليل أو عبارة عن كلام الله. ولم تتعرض لهما تلك النسخة. لكن وقف ابن خزيمة على بعض ما في كلامهم مما يتضمن إنكارهم أنه بمشيئته، ولذا اشتد نكيره عليهم، ولعل هذا من أبرز ما أشار إليه الهروي في حكايته عن هذا النزاع حين قال: "فطار لتلك الفتنة ذاك الإمام أبو بكر؛ فلم يزل يصيح بتشويهها ويصنف في ردها؛ كأنه منذر جيش، حتى دوّن في الدفاتر وتمكن في السرائر، ولقن في الكتاتيب ونقش في المحاريب: أن الله متكلم، إن شاء تكلم، وإن شاء سكت"[1].

---

(١) انظر: درء تعارض العقل والنقل (١/ ٢٧٥)، ومجموع الفتاوى لابن تيمية (٦/ ١٧٨).

وقال الإمام ابن تيمية - إتمامًا لكلام سابق -: "...بقي هذا الأصل يدور بين الناس حتى وقع بين أبي بكر بن خزيمة الملقب بإمام الأئمة وبعض أصحابه بسبب ذلك؛ فإنه بلغه أنهم وافقوا ابن كلاب، فنهاهم وعابهم وطعن على مذهب ابن كلاب بما كان مشهورًا عند أئمة الحديث والسنة...، فإن أتباع ابن كلاب... عندهم لا يجوز أن يقوم به أمر يتعلق بمشيئته وقدرته: لا فعل ولا غير فعل، فقالوا: إن الله لا يتكلم بصوت؛ وإنما كلامه معنى واحد هو الأمر والنهي والخبر. إن عبر عنه بالعربية كان قرآنًا، وإن عبر عنه بالعبرية كان توراة، وإن عبر عنه بالسريانية كان إنجيلًا..."[1].

والمقصود في المبحث بيان جهود هذا الإمام في الدفاع عن مذهب أهل السنة ضد انحرافات المتكلمين الكلابية، أما التفصيل في حقيقة قول الكلابية وردود الإمام ابن خزيمة عليهم، فله موضع آخر[2].

٢) بيان بطلان قولهم وذكر لوازمه الباطلة:

قال الإمام ابن خزيمة: "زعم بعض جهلة هؤلاء الذين نبغوا في سنيننا هذه[3]: أن الله لا يكرر الكلام، فلا هم يفهمون كتاب الله؛ إن الله قد أخبر في نص الكتاب في مواضع أنه خلق آدم وأنه أمر الملائكة بالسجود له؛ فكرر هذا الذكر في غير موضع، وكرر ذكر كلامه لموسى مرة بعد أخرى، وكرر ذكر عيسى ابن مريم في مواضع، وحمد نفسه في مواضع، فقال: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ

---

(١) مجموع الفتاوى (٦/ ٥٢٢) باختصار.

(٢) تناولت هذا في بحث لي بعنوان (الصفات الاختيارية عند الكلابية...).

(٣) المراد بهم أتباع عبد الله بن كلاب، كما سبق بيانه في أحداث خصومة الإمام مع الكلابية.

يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ﴾ [الكهف:١]، و﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ﴾ الآية [الأنعام:١]، و﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ [سبأ:١]، وكرر زيادة على ثلاثين مرة: ﴿ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ [الرحمن:١٦]، ولم أتوهّم أن مسلمًا يتوهّم أن الله لا يتكلم بشيء مرتين، وهذا مقالة من زعم أن كلام الله مخلوق، ويتوهم أنه لا يجوز أن يقول: خلق الله شيئًا واحدًا مرتين"[١].

وما ذكره الإمام ابن خزيمة لم أطلع على قائل به، فإما أن يكون من صرح بهذا من جهلة الكلابية[٢]، أو رآه الإمام لازم قول هؤلاء، حيث نفوا أن يكون لله كلامًا قائمًا به متعلقًا بمشيئته.

ولذا أظهر علماء الكلابية المخاصمون للإمام ابن خزيمة انتفاءهم من هذا القول، أعني: القول بأن الله لا يكرر كلامه، دون أن يشيروا إلى أن كلامه متعلق بمشيئته واختياره، على ما سبق بيانه.

وقد جاء نظير هذا الخبر - وتضمن أن ما ذكر ابن خزيمة صرح به بعض الكلابية - ما نقله تلميذه حسين الحافظ[٣]، قال: "سمعت محمد بن إسحاق بن خزيمة يقول: دخل إلي جماعة من الكلابية، وسماهم بأسمائهم، قال: فقلت

---

(١) انظر مجموع الفتاوى (٦/ ١٧١)، ودرء تعارض العقل والنقل (٢/ ٨٠)، وسير أعلام النبلاء (١٤/ ٣٨٠).

(٢) الكلابية لا يمنعون التكرار في القرآن الذي هو عندهم دليل على كلام الله النفسي!، ولذا ما استدل به الإمام من الآيات القرآنية لا تعارض حقيقة مذهبهم، ولذا أشار الإمام ابن خزيمة إلى لازم هذا القول بقوله: "...وهذا مقالة من زعم أن كلام الله مخلوق...".

(٣) الحسين بن علي بن محمد التميمي، أبو أحمد النيسابوري، قال الذهبي في ترجمته: "الامام الحافظ الانبل القدوة...، توفي سنة خمس وسبعين وثلاث مئة"، سير أعلام النبلاء (١٦/ ٤٠٧).

لهم: إن كان كما تزعمون أن الله لم يكن خالقًا حتى خلق الخلق، فأنتم تزعمون أن الله ليس بالآخر، والله يقول: ﴿ هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ ﴾ [الحديد: ٣]، وأنه ليس بمالك يوم الدين؛ لأن يوم الدين يوم القيامة. فبهتوا ورجعوا... "(١).

والمعنى في كلام هؤلاء: أن من الصفات الله ما هو حادث، اتصف الله به بعد أن لم يكن متصفًا به، كالخلق؛ لأن المخلوقات حادثة بعد أن لم تكن، فعلى قولهم إن الله لم يكن خالقًا حتى خلق الخلق. ولذا أبان لهم الإمام أن لازم قولهم أن الله ليس بمالك يوم الدين؛ لأن يوم القيامة لم يقع بعد.

والمعروف أن أئمة الكلابية ينفون الحدوث بجميع معانيه عن صفات الله، كما جاء في النسخة التي قدمها الصِّبغي للإمام ابن خزيمة، وتبرأ من هذا القول: "وكان فيما كتب: القرآن كلام الله تعالى وصفة من صفات ذاته، ليس شيء من كلامه خلقًا ولا مخلوقًا، ولا فعلًا ولا مفعولًا، ولا محدثًا ولا حدثًا ولا أحداثًا"، والذي يظهر كما سبق أن الإمام ابن خزيمة تبين له أن لازم قول هؤلاء أن الله لا يتكلم بمشيئته، ولذا جاء عنه فيما نقله أبو سعيد المقرئ، قال: "سمعت أبا بكر محمد بن إسحاق يقول: الذي أقول به:... من قال: إن القرآن أو شيئًا منه وعن وحيه وتنزيله مخلوق، أو يقول: إن الله لا يتكلم بعد ما كان تكلم به في الأزل...؛ فهو عندي جهمي".

ومما يدخل في بيان الإمام ابن خزيمة انحراف مذهب هؤلاء الكلابية، قوله في كتاب التوحيد: "...ومن عقل عن الله خطابه علم أن الله سبحانه لما أعلم عباده المؤمنين أنه يكون الشيء بقوله: (كن)؛ أن القول الذي هو (كن) غير المكون بـ(كن) المقول له: (كن)، وعقل عن الله أن قوله: (كن) لو كان خلقًا على ما

---

(١) انظر: تاريخ الإسلام للذهبي (٣٢/ ١٤٠).

زعمت الجهمية المفترية على الله كان الله إنما يخلق الخلق ويكونه بخلق لو كان قوله: (كن) خلقًا... "(١).

فهو وإن قصد به الرد على الجهمية المعطلة، فقد تضمن الرد على الكلابية الذين ينفون الحرف عن كلام ربنا سبحانه، فـ(كن) المكونة من حرفي الكاف والنون، ليست هي عندهم من كلام ربنا، بل هي دليل وعبارة عن كلامه القديم! ولذا يقول الإمام أبو نصر السجزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "...وأظهر مما ذكرنا ويبين خزي مخالفنا فيه قول الله سبحانه: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [النحل: ٤٠]، و(كن) حرفان، ولا يخلو الأمر من أحد وجهين: إما أن يكون المراد بقوله: (كن) التكوين، كما قالت المعتزلة، أو يكون المراد به ظاهره، وأن الله تعالى إذا أراد إنجاز شيء قال له: (كن) على الحقيقة: فيكون،.... فإن ثبت على أنه [على] ظاهره فهو حرفان وانتقض مذهبه، وإن قال: إنه ليس بحرف ألبته صار بمعنى التكوين ولم يبق بينه وبين المعتزلة فرق"(٢).

المطلب الثالث
تأليف الكتب في الرد عليهم

من المناهج المتبعة عند أهل العلم في ردهم للباطل وإنكارهم له، التصنيف وكتابة المؤلفات التي تبيّن الحق بدليله، وتنفّر من الباطل ببيان ضعفه وذكر لوازمه القبيحة، وقد قال الإمام يحيى بن يحيى النيسابوري(٣): "الذب عن السنة

(١) كتاب التوحيد (١/ ٣٩٢).
(٢) رسالة الإمام السجزي في الرد على من أنكر الحرف والصوت (ص ١٥٦).
(٣) يحيى بن يحيى بن بكر المنقري أبو زكريا النيسابوري، نعته الذهبي في ترجمته في سير أعلام النبلاء =

أفضل من الجهاد"[١]، وقال أبو محمد ابن حزم: "لا غيظ أغيظ على... المبطلين من هتك أقوالهم بالحجة الصادعة"[٢].

وهذا ما سار عليه الإمام ابن خزيمة رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فمع إنكاره على الكلابية في المجالس التي جمعته بهم، ألّف جملة من المؤلفات في الرد عليهم، لم يصلنا منها شيء، وقد ذكر أبو إسماعيل الأنصاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ في معرض ثنائه على جهود الإمام ابن خزيمة في رده على الكلابية وتحذيره من بدعتهم في مسألة الكلام: "... فطار لتلك الفتنة ذلك الإمام أبو بكر، فلم يزل يصيح بتشويهها ويصنف في ردها، كأنه منذر جيش، حتى دوّن في الدفاتر وتمكن في السرائر، ولقن في الكتاتيب ونقش في المحاريب، أن الله متكلم.. فجزى الله ذلك الإمام وأولئك النفر الغر عن نصرة دينه وتوقير نبيه خيرًا".

وذكر أبو عبد الله الحاكم فيما نقله من أحداث تلك الفتنة، أن ابن خزيمة جمع أصحابه وقال: "ألم أنهكم غير مرة عن الخوض في الكلام؟...، وذكر أنه بعد ذلك خرج على أصحابه وأنه صنف في الرد عليهم"[٣].

ونقل الحاكم - كما سبق - قول الإمام ابن خزيمة: "قد عرف أهل الشرق والغرب أنه لم يصنف أحد في التوحيد والقدر وأصول العلم مثل تصنيفي، [فالحاكي عني خلاف ما في كتبي المصنفة التي حملت إلى الآفاق شرقًا وغربًا

=

(١٠/ ٥١٢): بشيخ الاسلام، وعالم خراسان، الحافظ، توفي سنة ست وعشرين ومائتين.

(١) مجموع الفتاوى (٤ / ١٣)

(٢) الإحكام لابن حزم (١/ ٢٨)

(٣) درء تعارض العقل والنقل (٢/ ٧٩).

كذبة فسقة]...."[1].

ومن جهوده البارزة في التصنيف في الرد على أهل البدع - عمومًا - كتابه التوحيد وإثبات الصفات، فقد ذكر في مقدمته سبب تأليفه لكتابه فقال: "...وكنت أحسب أن ما يجري بيني وبين المناظرين من أهل الأهواء في جنس الكلام في مجالسنا، ويظهر لأصحابي الذين يحضرون المجالس والمناظرة، من إظهار حقنا على باطل مخالفينا = كافٍ عن تصنيف الكتب على صحة مذهبنا وبطلان مذاهب القوم، وغنية عن الإكثار في ذلك فلما حدث[2] في أمرنا ما حدث مما كان الله قد قضاه وقدر كونه مما لا محيص لأحد ولا موئل عما قضى الله كونه في اللوح المحفوظ قد سطره من حتم قضائه، فمنعنا عن الظهور ونشر العلم وتعليم

---

(١) المصدر السابق، وانظر كتاب الاستقامة لابن تيمية (١/ ١٠٩).

(٢) ما أشار إليه الإمام ابن خزيمة قد يريد أحداث أصحابه الكلابية، وقد يريد غيرها، خاصة أن له مع أهل الرأي منازعات آلت به إلى تلك الوليمة التي أقامها في آخر حياته، وقد جاء في أول كتاب التوحيد أيضًا، قوله (ص١٠): "كنت أسمع من بعض أحداث طلاب العلم والحديث ممن لعله كان يحضر بعض مجالس أهل الزيغ والضلالة من المعطلة والقدرية المعتزلة ما تخوفت أن يميل بعضهم عن الحق والصواب من القول إلى البهت والضلال في هذين الجنسين من العلم، فاحتسبت في تصنيف كتاب يجمع هذين الجنسين من العلم، بإثبات القول بالقضاء السابق والمقادير النافذة قبل حدوث كسب العباد، والإيمان بجميع صفات الرحمن الخالق جلا وعلا"، وهذا قد يؤخذ منه أن المقصود بالكتاب هم الجهمية معطلة الصفات ونفاة القدر، وقد يقال: إن هذا من الأسباب، والكتاب ألّف لهذه الأسباب جميعًا، وهو التحذير من بدعة الجهمية والمعتزلة والكلابية، وقد تناول في كتابه ما يستفاد منه الرد على هؤلاء جميعًا. ولعل مما يدل على هذا ويؤكده موقف أئمة الأشعرية الكلابية من كتاب التوحيد، وتشنيعهم عليه، لما يرون فيه من إظهار مخالفة مذهبهم لمذهب السلف الذي قرره الإمام ابن خزيمة في كتابه، والله أعلم.

مقتبس العلم ما كان الله قد أودعنا من هذه الصناعة..."[١].

وقد حوى كتابه هذا كلامه في تقرير عقيدة أهل السنة والجماعة بأفصح العبارات، وأوجز البيان، قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ في أوله: "فنحن وجميع علمائنا من أهل الحجاز وتهامة واليمن والعراق والشام ومصر مذهبنا أنا نثبت لله ما أثبته الله لنفسه، نقر بذلك بألسنتنا، ونصدق ذلك بقلوبنا، من غير أن نشبه.. خالقنا [بأحد] من المخلوقين، عز ربنا عن أن يشبه المخلوقين، وجل ربنا عن مقالة المعطلين، وعز أن يكون عدمًا كما قاله المبطلون؛ لأن ما لا صفة له عدم، تعالى الله عما يقول الجهميون الذين ينكرون صفات خالقنا الذي وصف بها نفسه في محكم تنزيله وعلى لسان نبيه"[٢].

ويقول أيضًا عند كلامه على حديث النزول: "باب ذكر أخبار ثابتة السند صحيحة القوام، رواها علماء الحجاز والعراق عن النبي في نزول الرب جل وعلا إلى السماء الدنيا كل ليلة، نشهد شهادة مقر بلسانه مصدق بقلبه مستيقن بما في هذه الأخبار، من ذكر نزول الرب، من غير أن نصف الكيفية؛ لأن نبينا المصطفى لم يصف لنا [كيفية] نزول خالقنا إلى سماء الدنيا، وأعلمنا أنه ينزل، والله – جل وعلا – لم يترك ولا نبيه عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ بيان ما بالمسلمين الحاجة إليه من أمر دينهم، فنحن قائلون مصدقون بما في هذه الأخبار من ذكر النزول، غير متكلفين القول بصفته أو بصفة الكيفية؛ إذ النبي لم يصف لنا كيفية النزول..."[٣].

---

(١) التوحيد وإثبات صفات الرب عزوجل (١/ ٩).

(٢) كتاب التوحيد (١/ ٢٦) بتصرف يسير.

(٣) كتاب التوحيد (١/ ٢٨٩).

وكلامه في كتابه هذا، وإن كان في أكثره ردًا لمذهب المعطلة من الجهمية والمعتزلة، إلا أنه تناول غيرهم، فانظر قوله فيه: "وزعم من كان يضاهي بعض مذهبه مذهب الجهمية في بعض عمره لما لم يقبله أهل الآثار، فترك أصل مذهبه عصبية، زعم أن خبر ابن مسعود الذي ذكرناه إنما ذكر اليهودي أن الله يمسك السموات على أصبع... الحديث بتمامه...، وقد كثر تعجبي من إنكاره ودفعه هذا الخبر..."[١].

والمقصود – في هذا البحث - كما سبق وبينت إنما هو إبراز جهود الإمام ابن خزيمة، لا تفصيل القول في المباحث العقدية.



(١) كتاب التوحيد (١/ ١٩٩).

المبحث الثاني

جهود الإمام ابن خزيمة العملية في الرد على الكلابية والتحذير من دعاتهم

المطلب الأول

جهود ابن خزيمة في التحذير من دعاة الكلابية

مما هو مقرر من مناهج أهل السنة في التعامل مع البدعة والمبتدعة، هو التحذير من دعاتهم، والتنفيرُ من مقالاتِهم أو الركونِ إليهم ومصاحبتهم، فإن المرض يعدي، والشر قد يعم وينتقل.

قال أبو قِلابة[(١)]: "لا تجالسوا أهل الأهواء ولا تجادلوهم"[(٢)].

وقال الفضيل بن عياض: "أدركت خيار الناس، كلهم أصحاب سنّة، وينهون عن أصحاب البدع"[(٣)].

وقال ابن المبارك: "إياك أن تجلس مع صاحب بدعة"[(٤)].

وقال أبو عبد الله الملائي[(٥)]: "لا تجالسوا أصحاب الأهواء؛ فإنهم يمرضون

---

(١) عبد الله بن زيد بن عمرو الجرمي، من أعيان التابعين، توفي سنة سبع ومائة. انظر: تهذيب الكمال (١٤/ ٥٤٢)، وسير أعلام النبلاء (٤/ ٤٦٨).

(٢) رواه الآجري في الشريعة رقم (٢٠٤٤،١١٤)، والبيهقي في الاعتقاد (ص ٢٣٨).

(٣) رواه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة رقم (٢٦٧).

(٤) رواه ابن بطة في كتاب الإبانة (ق ١/ رقم ٤٥٢)، وأبو نعيم في الحلية (٨/ ١٦٨).

(٥) عمرو بن قيس الملائي أبو عبد الله الكوفي، أثنى عليه الثوري، مات بسجستان. انظر: تهذيب =

القلوب "[١].

فمن عُرف بمقالة سوء استحق مسلك التنفير عنه، والتحذير من بدعته، حتى ولو كانت له في أبواب أخرى من العلم والعمل والعبادة ما يذكر له أو يثنى عليه به، فليس في هذا حيف ولا ظلم، فلسنا في موطن محاكمته، أو تقويم أعماله، إنما الهدف الأساس هو التنفير من بدعته، وسوء مسلكه.

وفي هذا يقول الإمام ابن تيمية: "...أئمة البدع من أهل المقالات المخالفة للكتاب والسنة... بيان حالهم وتحذير الأمة منهم واجب باتفاق المسلمين... "[٢].

وقال: "والداعي إلى البدعة مستحق العقوبة باتفاق المسلمين،... ولو قُدِّرَ أنه لا يستحق العقوبة أو لا يمكن عقوبته فلا بد من بيان بدعته والتحذير منها، فإن هذا من جملة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، الذي أمر الله به ورسوله"[٣].

وقال أيضًا: "ولهذا كان السلف يعدون كل من خرج عن الشريعة في شيء من الدين من أهل الأهواء، ويجعلون أهل البدع هم أهل الأهواء ويذمّونهم بذلك، ويأمرون بألا يغتر بهم، ولو أظهروا ما أظهروه من العلم والكلام والحِجَاج، أو العبادة والأحوال"[٤].

وهذا ما قام به الإمام ابن خزيمة رَحِمَهُ ٱللَّهُ، إذ حذر من رؤوس الكلابية ممن

=

الكمال (٢٢/ ٢٠٠)، وسير أعلام النبلاء (٦/ ٢٥٠).

(١) رواه ابن بطة في كتاب الإبانة (١/ رقم ٣٧٢، ٦٢٠).

(٢) مجموع الفتاوى (٢٨/ ٢٣١).

(٣) مجموع الفتاوى (٣٥/ ٤١٤).

(٤) الاستقامة (١/ ٢٥٤).

عاصره أو سبقه، ابتداء بإمام المذهب ابن كلاب وصاحبه الحارث المحاسبي، ولذا أنكر على أصحابه - ممن تأثر بعلم الكلام وخاض فيه - سلوكهم مسلك ابن كلاب، قال الحافظ ابن حجر في لسان الميزان: "...نقل الحاكم في تاريخه عن ابن خزيمة أنه كان يعيب مذهب الكلابية..."[١].

وقد سبق أنه لما قال له أبو علي الثقفي: ما الذي أنكرت من مذاهبنا أيها الإمام حتى نرجع عنه؟ قال: "ميلكم إلى مذهب الكلابية، فقد كان أحمد بن حنبل من أشد الناس على عبد الله بن سعيد وعلى أصحابه مثل الحارث المحاسبي وغيره".

فابن كلاب رأس هذا المذهب، والمحاسبي من دعاته، ولذا حذرهم منهما تبعًا للإمام أحمد. ولما سلك معاصرو أصحابه هذا المسلك في وقته حذر منهم أيضًا، وقد سبق ذكر كتاب الإمام أبي بكر بن خزيمة للخليفة في وقته - الذي أوصله إبراهيم الخلال - في الصِّبغي والثقفي، إذ كان هؤلاء من دعاة هذه الفتنة، ومن المدافعين عن مذهب ابن كلاب، المنتصرين لقوله، ولذا جرى عليهما ما ذكره الإمام أبو عثمان الصابوني من استتابتهما بعد وفاة الإمام ابن خزيمة.

وجاء من كلام الإمام ابن خزيمة - تحذيرًا من هؤلاء - قوله: "... صح عندي أن هؤلاء - الثقفي، والصِّبغي، ويحيى بن منصور - كذبة، قد كذبوا عليَّ في حياتي" فمحرم على كل مقتبس علم أن يقبل منهم شيئًا يحكونه عني، وابن أبي عثمان أكذبهم عندي، وأقولهم علي ما لم أقله".

وهذا الصنيع في تسمية هؤلاء وذم مسلكهم، القصد منه -والله أعلم-

---

(١) لسان الميزان (٣/ ٢٩٠).

التحذير منهم بعد إصرارهم على المخالفة، بل وتشنيعهم على الإمام ابن خزيمة بما لم يقله.

ولذا وصف ابن تيمية الإمام ابن خزيمة بقوله: "... وأبو بكر الإمام شديد على الكلابية"(١).

والحاصل أن جهاد الإمام ابن خزيمة في التحذير من البدع، والإنكار على أهلها، قد عرف له وشهر به، وأثنى العلماء بعده على جهده وجهاده، كما قال الحافظ أبو إسماعيل الهروي – وقد سبق –: "...فطار لتلك الفتنة ذاك الإمام أبو بكر، فلم يزل يصيح بتشويهها ويصنف في ردها؛ كأنه منذر جيش...".

المطلب الثاني

كتابته إلى العلماء بشأن بدعتهم

سبق فيما نقله الحاكم أن الإمام ابن خزيمة كتب إلى جماعة من العلماء تلك المسائل، وأنهم كانوا يرفعون من خالف أبا بكر إلى السلطان.

قال أبو الحسن أبا الحسن البوشنجي::... فلما كان بعد أشهر ورد أبو عمرو أحمد بن محمد بن عمر السمسار بغداد – وأنا بها – بكتب من محمد بن إسحاق إلى جماعة من العلماء في أمر تلك المسائل..."(٢).

وقال الحاكم: "... كتب إلى جماعة من العلماء تلك المسائل، وأنهم كانوا يرفعون من خالف أبا بكر إلى السلطان، وأن أمير نيسابور أمر أن يمتثل أمر أبي

(١) مجموع الفتاوى (٦ / ١٦٩).

(٢) تاريخ دمشق لابن عساكر (٤١/ ٢١٤).

بكر فيهم من النفي والضرب والحبس...".

ولشهرة هؤلاء المخالفين بالعلم استعظم بعضهم صدوره منهم، قال الحاكم: "سمعت أبا علي محمد بن إسحاق الأبيوردي[١] يقول: حضرت قرية فلانة... عبد الله بن حمشاد من بني فلان، وحضرها جماعة من أعيان البلد، وكان قد حضرها إسحاق بن أبي الفرد[٢] والي نيسابور؛ فأقرأنا كتاب حمويه بن علي[٣] إليه بأن يمتثل فيهم أمر أبي بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة من النفي والضرب والحبس. قال: فقام عبد الله بن حمشاد من ذلك المجلس فقال: طوباهم إن كان ما يقال مكذوبًا عليهم.

قال أبو علي ثم قال لي عبد الله بن حمشاد من غد ذلك اليوم: إني رأيت البارحة في المنام كأن أحمد بن السري الزاهد المروزي لكمني برجله ثم قال: كأنك في شك من أمور هؤلاء الكلابية؟ قال: ثم نظر إلى محمد بن إسحاق فقال: ﴿ هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا۟ بِهِۦ وَلِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾[إبراهيم:٥٢]".

ومع أن أكثر أهل العلم والدين كانوا مع ابن خزيمة على الكلابية - كما قاله الإمام ابن تيمية - حاول بعض الكلابية ومن تأثر بهم أن يستعطفوا من استطاعوا من علماء ذلك الوقت، بذكر الأحداث التي وقعت بطريقتهم وسردهم! وكأن الإمام ابن خزيمة خاض في علم الكلام، وهو لا يحسنه، فوقع ما

(١) لم أقف على ترجمته.

(٢) لم أقف على ترجمة له، وأحسب أن الاسم محرف.

(٣) حمويه هذا أحد حكام خراسان، وقد جاء ذكره في الكامل في التاريخ لابن الأثير في مواضع؛ منها: (٣/ ٣٩٥، ٤٠٥، ٤٠٦)، وفيه ما يشير إلى أنه أحد قادة الملك إسماعيل بن أحمد أحد ملوك السامانية ثم لابنه الأمير السعيد نصر.

وقع فيه، وحاشاه، فقد كان الإمام ابن خزيمة من أشد الناس تجنبًا لعلم الكلام والخوض فيه، وقد نهى عنه أصحابه، فكيف له بعد هذا أن يخوض فيه؟ لكنه نصر ما دل عليه الكتاب والسنة وما نقل عن سلف الأمة وأئمتها مما يخالف ما ذهب إليه أولئك الكلابية، كما سبق بيانه.

المطلب الثالث

إظهار الإنكار عند العامة تحذيرًا من البدع

ومن جهود الإمام ابن خزيمة في التحذير من البدع إنكاره على المخالفين، وإظهار ذلك عند العامة بما يحفظهم من هذه الانحرافات، فقد ذكر غير واحد خبر الإمام في ضيافته الكبيرة التي أقامها بعد وفاة أحد المخالفين، وذلك قبل وفاة هذا الإمام بسنتين، وما حمله على هذا - والله أعلم - إلا تحذيرُ العامة من الأخذ بأقوال هذا المخالف أو التأثر به.

قال أبو عبد الله الحاكم في تاريخه: "سمعت الإمام أبا بكر أحمد بن إسحاق[١] يقول: كان من قضاء الله تعالى أن الحاكم أبا سعيد[٢] لما توفي أظهر ابن خزيمة الشماتة بوفاته، هو وجماعة من أصحابه جهلًا منهم، فسألوه أن يتخذ

---

(١) هو الصبغي.

(٢) سبقت ترجمته، وقد أشار الذهبي إلى الخلاف بينهما في سير أعلام النبلاء (١٤/ ٢٨٤)، فقال: "...وكان بينه وبين ابن خزيمة واقع! [كذا]، بحيث إن أبا بكر صنع تلك المأدبة التي ما سمع لشيخ بمثلها، وشهدها ألوف من التجار والفقهاء إثر وفاة هذا القاضي. رحم الله الجميع".

وأبو سعيد هذا لم أقف على ما يدل أنه من الكلابية، لكن صنيع ابن خزيمة يدل على شدة إنكاره عليه، وإظهار هذا الانكار لدى العامة، نصحًا وتحذيرًا لهم.

ضيافة، وكان لابن خزيمة بساتين نزهة. قال: فأكرهت أنا من بين الجماعة على الخروج في الجملة إليها[١].

وحدثني أبو أحمد الحسين بن علي التميمي: أن الضيافة كانت في جمادى الأولى سنة تسع وثلاث مئة، وكانت لم يعهد مثلها، عملها ابن خزيمة، فأحضر جملة من الأغنام والحملان، وأعدال السكر، والفرش، والآلات، والطباخين، ثم إنه تقدم إلى جماعة المحدثين من الشيوخ والشباب، فاجتمعوا بجَنْزَرُوذ[٢] وركبوا منها، وتقدمهم أبو بكر يخترق الأسواق سوقًا سوقًا، يسألهم أن يجيبوه، ويقول لهم: سألت من يرجع إلى الفتوة والمحبة لي أن يلزم جماعتنا اليوم.

فكانوا يجيئون فوجًا فوجًا، حتى لم يبق كبير أحد في البلد - يعني نيسابور - والطباخون يطبخون، وجماعة من الخبازين يخبزون، حتى حمل أيضًا جميع ما وجدوا في البلد من الخبز والشواء على الجمال والبغال والحمير، والإمام رَحِمَهُ ٱللَّهُ قائم يجري أمور الضيافة على أحسن ما يكون، حتى شهد من حضر أنه لم يشهد مثلها"[٣].

---

(١) لم يبين لنا الصبغي سبب كراهته للحضور، أهو من جهة موافقته للحاكم أبي سعيد على آرائه، أم لسبب آخر؟ وعليه لا يمكننا تقويم هذه الكراهة مع هذا الإجمال، لكن مما لا نتردد فيه أن هذا الجهد الذي عمله الإمام ابن خزيمة، وكان آنذاك قد شاب في الإسلام، وصار رأسًا في الأمة، ومن المقدمين في العلم والإيمان، ما كان يفعل ما فعله نزوة شاب، أو حماس مخالف، وحاشاه، وعليه فعمل هذا الإمام وجهده هو من حسناته عندنا، نصرة لعقيدة أهل السنة وحفظًا لعقائد العوام، خلافًا لمسلك الصبغي غفر الله له، وقبيح عبارته حين عد هذا من الإمام جهلًا!

(٢) قال ياقوت في معجم البلدان (٢/ ١٧١): "جنزروذ بالفتح ثم السكون وفتح الزاي وضم الراء وسكون الواو وذال معجمة قرية من قرى نيسابور.."، وانظر: الأنساب للسمعاني (٥/ ١٠٠).

(٣) سير أعلام النبلاء (١٤ / ٣٧٧).

المطلب الرابع

تبليغ الولاة عن بدعهم ليكفوهم عن نشرها

إقامة الدين وحراسة العقيدة من أعظم مهمات الولاة، وقد جاء في الحديث: «كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته، فالإمام راع وهو مسئول عن رعيته...»[١].

قال الماوردي: "الإمامة موضوعة لخلافة النبوة في حراسة الدين وسياسة الدنيا"[٢].

وقال: "والذي يلزمه من الأمور العامة... أشياء؛ أحدها: حفظ الدين على أصوله المستقرة وما أجمع عليه سلف الأمة، فإن نجم مبتدع أو زاغ ذو شبهة عنه أوضح له الحجة وبين له الصواب وأخذه بما يلزمه من الحقوق والحدود؛ ليكون الدين محروسًا من خلل والأمة ممنوعة من زلل"[٣].

ولذا كان علماء المسلمين يرفعون أمر دعاة الباطل إلى ولاة أمور المسلمين وحكامهم، وبهذا كفي المسلمون شرورًا كثيرة، فبه خمدت نار الجهمية في عهد الأمويين[٤]، وبسببه كسرت شوكة المعتزلة في أيام المتوكل[٥]، ولقد أثنى العلماء

---

(١) رواه البخاري في صحيحه برقم (٨٩٣، ٢٤٠٩، ٢٥٥٤)، ومسلم في الصحيح برقم (١٨٢٩) من حديث عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٢) الأحكام السلطانية (ص ٥).

(٣) الأحكام السلطانية (ص ١٦).

(٤) ففي وقتهم نكل خالد القسري بالجعد، ونكل سلم بن أحوز بالجهم بن صفوان. انظر: البداية والنهاية (٩/ ٣٨٢).

(٥) انظر: البداية والنهاية (١٠/ ٣٤٨).

على الأمير خالد بن عبد الله القسري[١] بتنكيله بالمبتدعة في وقته كالجعد بن درهم والمغيرة بن سعيد الرافضي وبيان بن سمعان[٢].

قال ابن تيمية في كتابه: "...فالمقصود الواجب بالولايات: إصلاح دين الخلق الذي متى فاتهم خسروا خسرانًا مبينًا"[٣].

وهذا ما قام به الإمام ابن خزيمة مع أهل الابتداع، وقد سطر لنا بعض العلماء جهود هذا الإمام في فتنة الكلابية وسعيه في منعهم نشر مقالاتهم الفاسدة في الاعتقاد؛ نصحًا للأمة وحفظًا لمعتقدات العوام.

فذكر أبو إسماعيل الأنصاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتاب ذم الكلام - فيما نقله ابن تيمية عنه[٤] - أنه قال: "سمعت أبا نصر بن أبي سعيد الرداد[٥]: سمعت إبراهيم بن إسماعيل الخلال يقول: إني ذهبت بكتاب ابن خزيمة في الصبغي والثقفي إلى أمير المؤمنين..."[٦].

---

(١) انظر ترجمته في: سير أعلام النبلاء (٥/ ٤٢٥) وأخباره مع هؤلاء المبتدعة.

(٢) الجعد بن درهم هو شيخ جهم بن صفوان، وعنه أخذ عقائده الفاسدة، وأما المغيرة بن سعيد فقد ادعى النبوة، واشتغل بالشعوذة والسحر، مع شهرته بالرفض، وأما بيان فادعى ألوهية علي، وانظر تراجمهم في: لسان الميزان (٢/ ٦٩، ١٠٥) (٦/ ٧٥).

(٣) السياسة الشرعية (ص ٣٧).

(٤) درء تعارض العقل والنقل (١/ ٢٧٧).

(٥) كذا في المطبوع، وقد سبق أن الأظهر أنه محمد بن أحمد بن سعيد أبو نصر بن أبي سعيد الوالي النيسابوري.

(٦) وتتمة هذا الكلام في الدرء (١/ ٢٧٧): "... فكتب بصلبهما! فقال ابن خزيمة: لا، قد علم رسول الله ﷺ النفاق من أقوام فلم يصلبهم" وقد سبق ذكره.

ولعل من آثار سعي الإمام ابن خزيمة في حث الولاة على منع الكلابية من نشر بدعهم ونتائجه أن أمروا بإظهار التوبة والكف عن الكلام، فقد قال أبو عثمان إسماعيل بن عبد الرحمن الصابوني: "استتيب الصِّبغي والثقفي على قبر ابن خزيمة"[١].

ونقل الذهبي في ترجمته لأبي علي الثقفي أنه "ألزم البيت، ولم يخرج منه إلى أن مات، وأصابه في ذلك محن"[٢].

وهذا أيضًا ما سار عليه أصحاب الإمام ابن خزيمة وموافقوه في حق هؤلاء المنحرفين، فجاء فيما نقله الحاكم من أحداث هذه الفتنة: "...وأنه بعد ذلك قدم من نيسابور أبو عمرو النجار[٣] فكتب...[٤] إلى جماعة من العلماء في تلك المسائل وأنهم كانوا يرفعون من خالف أبا بكر بن خزيمة إلى السلطان. قال الحاكم: سمعت أبا علي محمد بن إسحاق الأبيوردي يقول: حضرت قرية فلانة... وحضرها جماعة من أعيان البلد، وكان قد حضرها إسحاق بن أبي الفرد والي نيسابور؛ فأقرأنا كتاب حمويه بن علي إليه بأن يمتثل فيهم أمر أبي بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة من النفي والضرب والحبس..."[٥].

"وذكر الحاكم: سمعت أبا محمد الأنماطي العبد الصالح يقول: "لما

(١) المصدر السابق.

(٢) سير أعلام النبلاء (١٥/ ٢٨٢)، وإلزامه البيت إما من جهة الوالي، وإما من شدة إنكار العامة عليه، وقد كان الإمام ابن خزيمة مقدمًا في بلده، متفَقًا على إمامته.

(٣) لم أتبين ترجمته.

(٤) في المطبوع من الفتاوى "...فكتب لأبي بكر محمد بن إسحاق إلى جماعة..."!.

(٥) مجموع الفتاوى (٦/ ١٧٦).

استحكمت تلك الوقعة وصار لا يجتمع عشرة في البلد إلا وقع بينهم تشاجر فيه، وصار أكثر العوام يتضاربون فيه؛ خرج أبو عمرو الحيري إلى الري والأمير الشهيد بها حتى ينجز كتبًا إلى خليفته...[١] بأن ينفي من البلد الأربعة الذين خالفوا أبا بكر. ثم ذكر أنهم عقدوا لهم مجلسًا"[٢].



(١) في المطبوع من الفتاوى (..ينجز كتبًا إلى خليفته كتاب! إلى أبي بكر بن إسحاق بأن ينفي..."!

(٢) مجموع الفتاوى (٦/ ١٧٧).

الخاتمة

بعد هذا العرض لجهود الإمام ابن خزيمة في دفاعه عن العقيدة السلفية، والتحذير من آراء الكلابية الكلامية، التي أشاع أصحابها بأنها متوافقة مع قول سلف الأمة، يتبين لنا مجموعة أمور:

١ - أن ضرر المخالف المصرح بمخالفته، قد يكون أهون من الملبس الذي يزعم الموافقة، ويبطن المخالفة، ولهذا نأى الناس عن مذهب الجهمية والمعتزلة، لصريح مخالفتهم لأئمة الأثر، في حين ولج أعلام من علماء الحديث والفقه في علم الكلام وتأثروا بمذهب الكلابية حين ظهروا بمظهر المدافعين عن عقيدة السلف!

٢ - إن أبرز مسائل الخلاف بين أهل السنة والأثر وبين الكلابية هي مسألة الصفات الاختيارية، لذا يوصي الباحث بأهمية إثراء هذا المبحث.

٣ - تأثّر الكلابية بمذهب المعطلة، فمع إثباتهم الصفات الذاتية، ونفي الخلق عن كلام الباري، جرهم هذا التأثر لموافقتهم لهم في الأصول إلى نفي الصفات الفعلية، واعتقاد أن القرآن الكريم المنزل على نبينا محمد ﷺ هو دليل على كلام الباري لا أنه كلام الباري حقيقة!

٤ - تنوّع جهود الإمام ابن خزيمة في دفاعه عن عقيدة السلف، لذا يوصي الباحث بالدعوة إلى كشف الجوانب الأخرى في شخصية هذا الإمام.

٥ - أهمية صلة العلماء الثقات بالولاة لحفظ عقيدة الأمة.

المصادر والمراجع

- آداب الشافعي ومناقبه لابن أبي حاتم، تحقيق: عبد الغني عبد الخالق، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٤ هـ.

- آراء الكلابية العقدية وأثرها في الأشعرية في ضوء عقيدة أهل السنة والجماعة. رسالة ماجستير. للأستاذة هدى الشّلالي، مكتبة الرشد – الرياض. ١٤٢٠ هـ.

- الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية لابن بطة العكبري الحنبلي، الناشر: دار الراية - الرياض، الطبعة الثانية، ١٤١٨، تحقيق: د.عثمان عبدالله آدم الأثيوبي وآخرين.

- الإرشاد في معرفة علماء الحديث للخليلي مكتبة الرشد – الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٠٩، تحقيق: د. محمد سعيد عمر إدريس

- الإرشاد إلى قواطع الأدلة للجويني، تحقيق أسعد تميم، مؤسسة الكتب الثقافية.

- الاستقامة لابن تيمية، الناشر: جامعة الإمام محمد بن سعود، الطبعة الأولى، ١٤٠٣، تحقيق: د. محمد رشاد سالم.

- الأسماء والصفات للبيهقي، تحقيق: عبد الله بن محمد الحاشدي، الناشر: مكتبة السوادي – جدة، الطبعة: الأولى.

- الإكمال لابن ماكولا، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ.

- الانتقاء في فضائل الثلاثة الأئمة الفقهاء لابن عبد البر، الناشر دار الكتب العلمية، بيروت.

- الأنساب للسمعاني، تحقيق: عبد الله عمر البارودي، الناشر: دار الفكر، بيروت، سنة النشر ١٩٩٨م.

- الإنصاف للباقلاني، تقديم زاهد الكوثري. مؤسسة الخانجي ١٣٨٢ هـ.

- البداية والنهاية لابن كثير، الناشر مكتبة المعارف، بيروت.

- تاريخ الإسلام للذهبي، تحقيق: د. عمر عبد السلام تدمري، الناشر: دار الكتاب العربي - بيروت، سنة النشر: ١٤٠٧هـ، ١٩٨٧م، الطبعة: الأولى.

- تاريخ بغداد للخطيب البغدادي، دار الكتب العلمية، بيروت.

- تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر، تحقيق: عمر بن غرامة العمري، الناشر: دار الفكر، بيروت، سنة النشر ١٩٩٥م.

- تاريخ نيسابور للحاكم (الملخص) - تلخيص أحمد بن محمد النيسابوري، الناشر: كتابخانة ابن سينا - طهران.

- تحريم النظر في كتب الكلام لابن قدامة، تحقيق: عبد الرحمن دمشقية، الناشر: دار عالم المكتب - الرياض الطبعة الأولى، ١٩٩٠م.

- تذكرة الحفاظ للذهبي، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ.

- التقييد لمعرفة رواة السنن والمسانيد للحافظ أبي بكر ابن نقطة الحنبلي، تحقيق: كمال الحوت، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٨هـ.

- تهذيب الأسماء للنووي، الناشر: دار الفكر، بيروت، سنة النشر ١٩٩٦م.

- التوحيد وإثبات صفات الرب عزو جل لابن خزيمة، تحقيق: د.عبد العزيز الشهوان، الناشر: مكتبة الرشد - الرياض، الطبعة الخامسة، ١٩٩٤م.

- الجامع الصحيح للإمام البخاري - الناشر: طوق النجاة.

- الجامع الصحيح للإمام مسلم بن الحجاج، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت.

- الحجة في بيان المحجة لأبي القاسم الأصبهاني، تحقيق: محمد بن ربيع المدخلي وصاحبه، الناشر: دار الراية، الرياض، سنة النشر ١٤١٩هـ.

- حلية الأولياء لأبي نعيم الاصبهاني، الناشر: دار الكتاب العربي - بيروت، الطبعة الرابعة، ١٤٠٥هـ.

- درء تعارض العقل والنقل: لابن تيمية، تحقيق د. محمد رشاد سالم، الناشر: جامعة الإمام محمد بن سعود - الطبعة الأولى - سنة ١٣٩٩ هـ.

- ذم الكلام لأبي إسماعيل الهروي، تحقيق: عبد الرحمن عبد العزيز الشبل، الناشر: مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، سنة ١٤١٨هـ.

- رسالة السجزي إلى أهل زبيد في الرد على من أنكر الحرف والصوت، تحقيق: محمد باكريم با عبدالله، الناشر: دار الراية - الرياض، سنة ١٤١٤هـ.

- السنّة لأبي بكر الخلال، تحقيق: د. عطية الزهراني، دار الراية – الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ.

- سير أعلام النبلاء للذهبي، تحقيق: بشار عواد وآخرون، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى – سنة ١٤٠٥ هـ.

- شرح أصول اعتقاد أهل السنة اللالكائي، تحقيق: د. أحمد سعد حمدان، الناشر: دار طيبة، الرياض، سنة النشر ١٤٠٢هـ.

- الصفات للدارقطني، تحقيق: د.علي الفقيهي، الناشر: الجامعة الإسلامية، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ، ١٩٨٣م.

- طبقات الفقهاء الشافعية لابن الصلاح، تحقيق: محيي الدين علي نجيب، دار البشائر – بيروت، الطبعة الأولى، سنة ١٤١٣هـ.

- طبقات الشافعية الكبرى للسبكي، تحقيق: د. محمود محمد الطناحي، د.عبد الفتاح محمد الحلو، الناشر: دار هجر للطباعة والنشر، ١٤١٣هـ، الطبعة: الثانية.

- طبقات الشافعيين لابن كثير، تحقيق: د أحمد عمر هاشم، وصاحبه، الناشر: مكتبة الثقافة الدينية، تاريخ النشر: ١٤١٣ هـ، ١٩٩٣ م.

- طبقات الصوفية لأبي عبد الرحمن السلمي، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، الناشر دار الكتب العلمية، سنة ١٤١٩هـ١٩٩٨م.

- الفصل في الملل والنحل لابن حزم، الناشر: مكتبة الخانجي، القاهرة.

- لسان الميزان لابن حجر، الناشر: دائرة المعرف النظامية – الهند – بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٦هـ، ١٩٨٦م.

- المؤتلف والمختلف للدارقطني، تحقيق: د. موفق بن عبد الله بن عبد القادر، الناشر: دار الغرب.

- مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، جمع: الشيخ عبد الرحمن بن قاسم، الناشر دار الإفتاء المملكة العربية السعودية.

- معجم البلدان لياقوت الحموي، الناشر: دار الفكر، بيروت.

- معرفة علوم الحديث للحاكم، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩٧هـ، ١٩٧٧م.

- مقالات الإسلاميين للأشعري، تصحيح هلوت ريتر، دار احياء التراث العربي، الطبعة الثالثة.

- منهاج السنة لابن تيمية، تحقيق: الدكتور محمد رشاد سالم، الناشر: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ١٤٠٦هـ.

- موقف ابن تيمية من الأشاعرة، د. عبد الرحمن المحمود، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الأولى.



فهرس الموضوعات

